عن السدي في روايتين من
هيهنا نكات دقيقة واسرار
من الكفار اي قهيئة تعين
ظهر له تحقيقات رشيقة
منها تحقيق الحال بعد
منها الى الاول كما يسترشد
يتعقل معنى وان جهنم لمحـ
محقق في شانهم وثابت
بلغت اقصى حد الاستغنا
الروايات مسندة موثقة
الى وحدة الحقيقة وانما الا
وقد تبعه في ذلك جماعة
من الخراش وكذا الفن الاعلـ
بعض اهل بيت الرحمة والعـ
بد تعالى فالتقريب عن خفي
سرا بد حكم الولاية المطلقة

... رسول الله صلى الله عليه ...
... العسكر فرجعوا الى دمشق وفي رواية
... الموكلين في جهنم وبيده سوط من النار فضرب به على
... اصحابه اقتحموا الطريق الذي سلكه فلو ... وقيل انهم

ق الى جهنم آ...
...يد الى و بئس...

...رسول الله صلى الله عليه
...يزل بر كل يوم هذا الفع...
...قلبت شاء و قلبه بلهب...
...طير فا بتلعه طار بر نحوا...
...لق سوى فهم الكافران...
...في رواية اخرى انه لعن...
...عن دمشق مسير يومين فا...
...وادى الى واد حتى انتهت الى...
...يجد هناك شيئا من الماء...
...الا ازددت في كرامتي فقال...
...بن علي بن ابي طالب عليهما...
...ل الفرس كلما راه خلفه...
...يفارقهم و يامنهم على حرمة...
...كاب فوقعت الصيحة في العسكر فرجعوا الى دمشق و في رواية
...لائكة الموكلين في جهنم و بيده سوط من النار فضرب به على
...اصحابه اقتحموا الطريق الذي سلكه فلو برؤه و قيل انهم
...كانوا قد بقي العسكر متحيرين بعد ان طلبوه في الارض ...

...في قصة...

عن السدي في روايتين من...
ههنا نكات دقيقة و اسرار...
من الكفار اي قصة تعين...
ظهر له تحقيقات دقيقة...
منها تحقيق الحال بحسب...
منها الى الاول كما يسترشد...
يتعقل معنى و ان جهنم لمحيطة...
محقق في شانهم و ثابت...
بلغت اقصى حد الاستغفار...
الروايات مسندة قوية...
الى وحدة الحقيقة و انما الا...
و قد تبعه في ذلك جماعة...
من الخزائن و كذا الفن لا علم...
بغض اهل بيت الرحمة و الع...
به تعالى فالتقريب عن خفي...
سرايته حكم الولاية المطلقة في...

رساله حشر و بعده رساله قضا و قدر
اخوند ملا صدرا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله رب الآخرة والاولى ومبدأ الوجود والمنتهى والصلوة على غاية الارض والسماء واقرب الخلق اليه في البدو والرجعى وآله الذين اذهب الله عنهم رجس الشيطان وطهرهم تطهيرا ونور قلوبهم بآيات الحكمة والايمان تنويرا وبعد فقد سألت يا اخي اطال الله بقاءك في سبيل المعرفة والهدى وسددك في سلوك المحجة البيضاء عن حشر جميع الاشياء اليه تعالى حتى جميع طبايع الجماد والنبات والعجماء فضلا عن غيرها من ذوات العلم والحيوة وكل ما كان في الارض والسموات فاجبت مسئولك ومبتغاك وسعيت في قضاء مأمولك ومدعاك وان لم اكن اهلا لذلك الا اني اعانني مجيب الدعوات وارشدني منزل الخيرات وواهب الحكمة والآيات فاقول بعون الله وتوفيقه ان الممكنات على طبقات الطبقة الاولى المفارقات العقلية وعالمهم عالم القضاء الالهي وهي صور علم الله بالانواع الكاينة ومفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا هو وخزائن الرحمة التي ما ينزلها الا بقدر معلوم الطبقة الثانية هي الارواح المدبرة العقلية المتعلقة بالاجرام العلوية والسفلية ضربا من التعلق وعالمهم عالم القدر الرباني ولوح المحو والاثبات الطبقة الثالثة هي الارواح المدبرة الجزئية والنفوس الخيالية المتعلقة بالاجرام السفلية الدخانية او النارية ومنها ضرب من الجن والانس والشياطين الطبقة الرابعة هي النفوس النباتية وغيرها من طبايع النارية في الاجسام المحركة اياها المتحركة بتحريكها المتجددة بتجددها في كل آن وهي المشار اليها بقوله غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما جعت بصفة ذوي العقول لمدبرها العقلي

ومحركها

ومحركها الروحاني كاسمعلو ومن هذه الطبقة انقم من الجهة التي اوما اليها الزبانية وسدنة الجحيم المأمورون بقوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ومنهم الموكلون على السحاب والامطار والبحار والجبال والمعادن والارض والنباتات وغيرها الطبقة الخامسة هي مواد الاجرام وهي اسفل السافلين ومهوى النازلين فاذا تمهد هذا فلنرجع الى كيفية حشر كل من هذه الطبقات اليه تعالى بيانا على التفصيل بعد ذكر اجمالي يعمها وهو ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا لغاية فانه ما من موجود ممكن الا وله فاعل وغاية ومن الموجودات وهو المركبات ما له علل اربع هي هما مع المادة والصورة الا ان البسيطة لا يكون له من العلل الا الفاعل والغاية لان صورته بعينها ذاته ولا مادة له وقد ثبت بالبرهان ان الغاية الاخيرة في فعله تعالى هي ذاته وذاته غاية الغايات كما انه مبدأ المبادي ولا شك ان غاية الشيء ما اليه الذات ان تصل اليه وينتهي به الا ان يعوقه عايق وكل ما لم يكن الوصول اليه لم يكن اطلاق اسم الغاية اليه الا بالمجاز فلا يكون غاية بالحقيقة وقد فرضناه غاية هف فثبت بما ذكرنا ان جميع المكنات بحسب الجبلة الغريزية طالبة له تعالى متحركة اليه حركة معنوية مشتاقة الى لقائه بالوصول وهذه الحركة والرغبة لكونها مركوزة من الله في ذاتها يجب ان لا يكون عبثا ولا معطلا فلا محالة كانت محققة في غالب الامر بلا عايق وقاسر القسر على الطبع كما ثبت في مقامه لا يكون دائميا ولا اكثريا فبزوال التحير ولو بعد زمان طويل فيعود حكم الطبيعة ومن ههنا يعلم ان كل طبيعة نوعية تؤدي يوما الى غايتها الاصلية وغاية الشيء اشرف من الشيء ذي الغاية وغاية الجوهر اكمل جوهرية منه واقوى وجودا في ذاتها فنقل الكلام الى نفس تلك الغاية وتوجهها الذاتي الى غاية الغاية وهكذا الى ان ينتهي الى غاية لا غاية لها وهي غاية الغايات ومنتهى الحركات في الرغبات وماوى العشاق الالهيين والمشتاقين من ذوي الحاجات واما البيان التفصيلي فلنورده في فصول

الفصل الاول في حشر العقول الخالصة الى الله تعالى وفنائها عن ذواتها وبقائها ببقاء الله بوجوه من البراهين الاول ان هوياتها وجودات محضة بلا ماهية وانوار صرفة بلا ظلمة واما التفاوت بينها وكذا بينها وبين نور الانوار ليس الا بالتمام والنقص والشدة والضعف ومتى كانت كذا لم يكن منصولة الهويات

عن الاينة الالهية اما الصغرى فلما برهن عليه فى كتبنا الحكمية سيما فى الاسفار الالهية تارة على لسان الاشراق
وتارة على طريقة المشائين واما الكبرى فلان الشئ مع تمام هويته الحقيقة ذلك الشئ لا مع نقصه والنقص
عدمى والعدم قد يكون خارجيا وقد يكون اعتباريا محضا اما الاول فيكون له حكم وضرب من الكون
وذلك انما يوجد فى الاجسام والجسمانيات وصورها ونفوسها ولهذا لا يخلو شئ منها من شرور واعدام
وقوى وامكانات واما القسم الثانى فلا اثر له فى الذوات العقلية بحسب نفس الامر لان الذى فى
نفس الامر هو الفعلية والوجوب وحالة الامكان انما يعرض لها بمجرد فرض العقل وجودها مع قطع النظر
عن مقوم وجودها ومحصل هويتها او فرض وجود الشئ بدون فرض مقومه كفرض الماهية بدون مقومها
كفصلها او جنسها واذا كان كذلك فلا امتياز بينها وبين بارئها ومقومها فى نفس الامر الا بضرب من الاعتبار
العقلى بحسب نحو من المقايسة والملاحظة الذهنية ونحن قد بسطنا القول فى كتبنا فى اثبات ان المجعول
بالذات هو الوجود ومهية من الطبايع المادية هو وجودها لا مهياتها وهذه الاثبات العقلية لا مهية لها
اذ ليست لها فى الخارج مرتبة امكانية سابقة على وجودها او مادة حاملة لامكاناتها التبعية وفيها بهيئة
عن الوجود فعالم العقل عالم الوجوب الصرف بلا امكان والوجود المحض بلا عدم ولاجل ذلك ما حكمنا فى بعض
كتبنا انها من مراتب الالهية وليست بداخلة فى العالم وما سوى الله لسانى وانما حدوث العالم الذى
اثبتناه بالبراهين فثبت انها باقية الذوات الى الواحد الحق راجعة اليه فمن بدوها منه تعالى وعين رجوعها
اليه سبحانه البرهان الثانى ان قاعدة الامكان الاشرف يقتضى ان يكون بين نور الانوار وبين ما يعرض
انه النور الاقرب باتصال معنوى وكذا بينه وبين ما فرض تاليا من الانوار العقلية المتفاوتة بالشدة
والضعف والالزم بين كل مرتبتين وجود انوار غير متناهية مترتبة غير مجتمعة مع كونها ابقى محصورة بين
حاصرين وذلك المحال لا مخلص عنه الا بان يقال انها من شئون الالهية ومراتب تنزل الحق فى تلك المقامات
لا تنزد فيع الدرجات ذو العرش المجيد وهى اشعة الهية متفاوتة النورية لا على وجه المباينة والانفصال
والا يلزم ما ذكرنا من المحال فكلها موجودة بوجود واحد وحيثية بجميعها واحدة والنظر الى هوية النفس

ومقاماتها

ومقاماتها الذاتية المتخصصة من حد العقل الفعل الى حد الوهم والفكر والخيال وهلم الى مراتب الحس
حتى الادراك اللمسى التى كلها موجودة بوجود النفس حيث يجد بها على الوجه الجزئى الحضورى يؤيد ما
قررناه وبنور ما ذكرناه لان هويات المشاعر والحواس ليست تشخصاتها ووجوداتها مباينة لهوية النفس
ووجودها ولا انها عرض قائمة بالنفس كما زعم او بالبدن كما توهم ولان استخدام النفس اياها كاستخدام
امير للخادم والاجير ولا انها جواهر منفصلة الذات عن النفس ولان النفس بحسب مقاماتها العقلية
مدركة للجزئيات ولان الحواس هى المدركة دون النفس كما توهم ولا انها مشاركتان فى هذه الادراكات
بل النفس هى بعينها العاقل المتصور المتخيل الحساس الشام الذائق اللامس المدبر المحرك النامى الغاذى
المولد الاكل الشارب النائم القاعد وهذا باب من التوحيد يفتح بمفتاح المعرفة النفس على هذا الوجه
فتدبر واهتد البرهان الثالث ان العقل حيث لا حجاب بينه وبين الحق الاول لان يشاهد بذاته ذات
الحق وان لم يكن ذلك على وجه الاكتناه والا لكان محيطا به قاهرا عليه هذا محال اذ لا واسطة بينهما
ولا حجاب البينونة فلا محالة متجلى عليه الحق والتجلى هناك انما يكون بتجلى الذات اذ لا جهة ولا صفة زائدة
عليه تعالى ولا حيثية اخرى زائدة فذات العقل كانها مرآة يتراءى فيه صورة الحق وكما ليس فى صورة
المرآة شئ وجودى الا الصورة المرئية ولا الصورة المرئية غير الصورة الحقيقية فكذلك ليس فى ذات العقل
شئ الا صورة الحق وتجليه وليس هناك اثران وجود العقل وتجلى الحق عليه اذ محال ان يكون للشئ
الواحد وجودان ولا انه يمكن ان يصدر عنه تعالى بجهة واحدة صورتان ولهذا قالت العرفاء ان الله
لا يتجلى فى صورة مرتين فعلم من ذلك ان وجود العقل بعينه عبارة عن تجليه تعالى بصورة ذاته عليه وصورة
ذات الحق انما هى نفس ذاته لا امر زائد عليه وهذا هو المطلوب قال معلم الاول فى الميمر الثامن من
كتاب الربوبية ان البارى الاول لما كان هو الفاضل التام الفضيلة وهو سبب فضيلة كل ذى فضيلة
كان الواجب ان يكون هو الذى يفيض الجود والفضيلة على الاشياء التى هى دونه وهى معلولة فيفيض
عليها على درجاتها ومراتبها فما كان منها اكثر قبولا احرى ان تقرب منه ويكون القابل الاول اشرف وبما

المتوسط بينه وبين ساير المعلولات فيما قبل منه من الحيوة والفضايل دايما ويفيض منه على ما دونه
دايما وكان من الواجب ان يكون القابل الاول اتم وافضل من جميع ما تحته لقربه من الباري وشرف
جوهره فلذلك صار بحيث كان المثال الاول الذي فيه يظهر فضايل الباري وكان يجب ان يفيض منه
على النفس فانها هي مثال العقل وفعلها كله من العقل باسره والعقل والنفس هما بمنزلة النار والحرارة
اما العقل الكلي فكالنار اما النفس فكالحرارة انتهى قوله تلخيصا وقال في الميمر العاشر منه ان الواحد
الحق الذي هو فوق التمام لما ابدع الشيء التام التفت المبدع الى مبدعه والقى بصره اليه امتلأ منه نورا وبهاء فصار
عقلا ثم قال فلما صارت الهوية الاولى مبتدعة عقلا يحكي افاعيلها للواحد الحق لانها لما التفت ببصرها
عليه ورأته على قدر قوتها وصارت عقلا افاض عليها الواحد الحق قوى كثيرة عظيمة انتهى كلامه
اقول ليس المراد من قوله القى بصره اليه وامتلأ منه فصار عقلا ما يوهمه ظاهر العبارة من انه لم يكن
المجعول الاول ملقيا بصره نحوه اليه بحسب اول الفطرة ثم القاه ثانيا ولم يكن ممتليا منه نورا ثم امتلأ من
نوره ثانيا ولم يكن عقلا ثم صار عقلا بل وجوده بعينه هو ملاحظته للحق وامتلاؤه بنوره وفيضا
من الحق هو بعينه صيرورته عقلا وليس في العقل وجودان احدهما صورة ذاته والاخر صورة زائدة
على ذاته هي صورة الحق وصورة الحق ليست الا ذاته اذ كل صورة زائدة مرتسمة في ذات المدرك فهي معنى
كلي يحتمل الكثرة والشركة فهي مغايرة لذي الصورة الموجود فلم يكن المعلوم في الحقيقة ذلك الامر العيني وقوله
افاض عليها قوى كثيرة معناه كما يستفاد من مواضع في كتاب اثولوجيا ان العقل فيه الاشياء كلها على
وجه بسيط وليس معناه انه افاض عليها صورة متغايرة او قوى كثيرة حالة فيها لان ذلك يؤدي الى
ابطال الوحدة اذ الواحد الحقيقي لا يصدر عنه الا الواحد في اول الامر قال الشيخ الرئيس في رسالة العشق
الخير الاول بذاته متجلي لجميع الموجودات ولو كان ذاته محتجبا عن الموجودات غير متجلي لها لما عرف ولا نيل
منه ولو كان ذلك في ذاته تاثير الغير لوجب ان يكون في ذاته المتعالية قبول لتاثير الغير وذلك خلف
بل ذاته بذاته متجل ولاجل قصور بعض الذوات عن قبول تجليه احتجب فبالحقيقة لا حجاب الا في المحجوبين

والحجاب

والحجاب هو القصور والضعف والنقص وليس تجليه الا حقيقة ذاته اذ لا معنى له بذاته في ذاته الا ما هو صريح
ذاته كما اوضحه الالهيون فذاته متجل لهم ولذلك سماه الفلاسفة صورة العقل صورة الله فاول قابل لتجليه هو الملك
الالهي الموسوم بالعقل الكلي فانه بجوهره ينال تجليه بجوهر الصورة الواقعة في المراة المتجلي الشخص الذي هي مثاله وقريب
من هذا المعنى قيل ان العقل الفعال مثاله فاحترز ان يقول مثله وذلك هو الواجب الحق البرهان الرابع
انه لما ثبت بما مر ذكره ان العقل يدرك ذات المبدع الحق لعدم الحجاب بينه وبين المبدع الحق وهو النور
الذي في غاية الظهور فيعقل ذاته بلا صورة اخرى وكلما يعقل صورة معقولة بالذات فيصير هو ذلك المعقول
بالذات شيئا واحدا لما بينا بالبرهان من اتحاد العاقل والمعقول حسبما نقل عن بعض المتقدمين لان وجود
المعقول في نفسه هو بعينه وجوده للمدرك فلا يمكن ان يكون المدرك شيئا والصورة المعقولة شيئا
اخر مباينا له في الوجود بل يجب ان يكون تلك الصورة صورة ذاته التي ذاته بها بالفعل سواء كانت قبل
ان يتصورها بالقوة كما في النفس قبل ان يصير عقلا بالفعل او كان كك دايما كما في العقول الفعالة وهذه
المسئلة يحتاج تحقيقها الى خوض شديد وبحث عميق لكنا اوضحناها بالبرهان في باب العقل والمعقول
في كتابنا المسمى بالاسفار الاربعة وفي غيره بحيث ما كادت ان تكون من الاوليات لشدة الوضوح فقد
ثبت وتحقق ان عالم العقل والصور الالهية كلها راجعة اليه تع فانية من هوياتها باقية ببقاء الله تع

الفصل الثاني في حشر النفوس الناطقة الى الله تع

هذه النفوس اما كاملة كمالا عقليا او ناقصة
اما النفوس الكاملة التي خرجت ذاتها من القوة الى الفعل وصارت عقلا بالفعل فهي لا محالة محشورة
الى العقل والعقل محشور الى الله تع كما سبق والمحشور الى الشيء المحشور اليه فالنفس محشورة
اليه وهذه النفوس على قسمين فلكية وانسانية اما فلكية فحالها وبعثها في كل حين على الاتصال التدريجي
لان لها صورتين حيوانية سارية في جرمية الفلك يتجدد فيضانها على جوهر الفلك وصورة عقلية باقية
عند الله يصل اليها حيوانية الفلك في كل حين عند خروجها من القوة الى الفعل واذا خرجت من القوة الى
الفعل وصارت متشبهة بالعقل واصلة اليه فاضت وترشحت منه حيوانية اخرى على مادة الفلك بالاشراقات

الرشحية تابعة للاتصالات العقلية والرشحات الحيوانية الجزئية معدة للاتصالات الكلية وهكذا الى
ماشاء الله وليس هذا المقام موضع بيانها واما الانسانية فهى فى اول تكونها ناقصة غاية النقص الى
حيث يكاد ان يكون من جملة الاعدام والامكانات كما قال الله تعم هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا ثم يتدرج شيئا فشيئا فى الاستكمال ويتطور فى الاطوار حتى يعرج بعد طى الطبقات
والمرور فى سبع سموات طباقا الى المنتهى والماوى ان الى ربك الرجعى واما النفوس الناقصة فهى اما
حيوانية غير مشتاقة الى الكمال العقلى اما بحسب اصل الفطرة كما فى البهايم واما بحسب امور طارية عليها
من اعمال وافعال صارت موجبة لسقوطها عن الفطرة كما اعرب الكتاب الكريم عن حالها بقوله تعم نسوا الله
فانساهم انفسهم او مشتاقة الى الكمال اما النفوس الانسية الساقطة عن درجة قوة الكمال فهى محشورة الى
عالم متوسط بين العقل والحس ولها اتصال بصورة مثالية مقدارية والصورة التى فى عالم القدر هى كالبات
وقوالب وامثال لما فى العالم العقلى من الصورة المفارقة وبها قوامها ودوامها وحيوتها وكما ان حيوة
البدن وبقائه بالنفس كذلك حيوة النفوس الحيوانية المتصورة بالجسد البرزخى بالعقل وبقائها به فهى ايضا
داجبة الى العقول النازلة الى بعض قواها المتوسطة بين العقل والحس قال معلم الفلسفة اليونانية ان
النفس اذا سلكت من التسفل علوا ولم يبلغ الى المقام الاعلى بلوغا تاما وقفت بين العالمين اى بين
العقل والحس والطبيعة غير انها اذا ارادت ان تسلك علوا سلكت باهون سعى ولم يشتد عليها
ذلك بخلاف ما اذا كانت فى العالم السفلى ثم ارادت الصعود الى العالم العقلى فان ذلك مما يشتد عليها
واما النفوس المشتاقة الى الكمال فهى بعد انقطاعها عن هذا البدن الطبيعى مترددة فى الجحيم معذبة دهرا طويلا
او قصيرا بالعذاب الاليم لين ولعنها الشوق الى العقليات اما بالوصول اليها او بتدارك العناية او الشفاعة
او بطول المكث والاستيناس الى السفليات فيزول عنها العذاب ولكن عند المآب اما الى الدرجة العليا
واما الى المهبط الادنى فى محشره الى الله من جهة اخرى من غير تناسخ كما ستعلم **الفصل الثالث** فى حشر النفوس
الحيوانية واما نفوس ساير الحيوانات فهى عند موتها وفساد اجسامها داجبة افراد كل نوع منها الى

مدبرها

مدبرها العقلى الذى هو رب طلسمها ومصورصنمها وصورة عقلها ومعقولها كرجوع قوى النفس الانسانية
من المشاعر الادراكية ومبادى الشهوية والغضبية اليها عند انقطاعها عن هذا العالم وقد تحقق فى مظانه
ان هذه المشاعر والقوى النفسانية كلها فى النفس على وجه الطف وابسط وهى انما اختلفت وتفرقت
فى مواضع البدن لان عالم الطبيعة عالم التفرقة والتضاد لبعدها عن عالم الوحدة ومن نظر فى الحواس
الخمس وافتراقها فى اعضاء البدن واتحادها فى الحس المشترك سهل عليه التصديق بان قوى النفس الواحدة
مجتمعة فيها متفرقة فى الاعضاء بل هذه الاعضاء ايضا فى مقام النفس واحدة ليس موضع العين غير موضع
السمع ولا موضع اليد غير موضع الرجل ولا موضع الاعضاء كلها هناك مختلفة لان النفس كما علم امر روحانى
وجميع اعضائها روحانية والروحانيات لا تزاحم ولا تضايق بينها سواء كانت النفس عقلانية واعضائها
عقلية او حيوانية واعضائها مثالية كما اوضحه معلم الفلسفة وبين ان فى الانسان الحسى والانسان النفسى
والانسان العقلى وبين ان جميع الاعضاء التى فى الانسان الحسى هى فى الانسان النفسى على وجه الطف وكذا
جميع الاعضاء التى فى الانسان النفسى هى ايضا فى الانسان العقلى على وجه اعلى واشرف وامعن فى ذلك امعانا
شديدا لو نقلناها اذكرتها لادى الى الاطناب فعلم ان القوى الطبيعية والحواس المتوزعة فى البدن الطبيعى
الحسى كلها متصلة بالنفس المتخيلة محشورة اليها وهى بجميع قواها وحواسها المثالية متصلة بالعقل
الفعال وانفسنا المعبر عنه بالانسان العقلى الذى هو الروح المضاف الى الله ونفخت فيه من روحى وهى
كلمة الله وامره المشار اليها فى قوله اليه يصعد الكلم الطيب وقوله قل الروح من امر ربى هى التى من الله مشرقها
والى الله مغربها وفى الحديث عن بعض ائمتنا الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين ان روح المؤمن لاشد
اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها فاذن كما ان قوى النفس الانسانية العقلية راجعة اليها متصلة
بها اتصال الاشعة بالشمس فكذلك نفوس كل واحد من انواع الحيوان متصل عند الرجوع بعقل ذلك الحيوان
اذ التحقيق ان لكل حيوان عقلا مفارقا كما قال الفيلسوف الاول الا ان الحيوة والعقل كما ذكر فى بعضها
ابين واظهر وفى بعضها اخفى وذلك ان من العقول ما هو قريب من العقل الاول فلذلك صارت اشد نورا

من بعضها ومنها ما هو ثان له ومنها ما هو ثالث فلذلك بعض العقول ههنا الهية وبعضها ناطقة وبعضها
غير ناطقة لبعدها من تلك العقول الشريفة واما هناك فالحي الذي نسميه ههنا ناطقا هو ناطق والحي الذي
لا عقل له ههنا هو هناك ذو عقل وذلك ان العقل الاول الذي يعقل الفرس هو عقل فلذلك صار الفرس
عقلا وعقل الفرس هو فرس يسير ولا يمكن الذي يعقل الفرس انما هو عاقل الانسان فان ذلك محال في العقول
الاول والا لكان العقل الاول يعقل شيئا ليس هو بعقل فاذا كان ذلك محال كان العقل الاول اذا عقل
شيئا ما كان هو وما عقله اياه سواء فيكون العقل والشيء واحدا فكيف صار احدهما عقلا وصار الاخر
اعني الشيء المعقول لا عقل له وقال ايضا ان العقل الكاين في بعض الحيوان ليس بعادم للعقل الاول وكل جزء
من اجزاء العقل هو بكل تجزيه عقل فالعقل الشيء الذي هو عقل له بالقوة الاشياء كلها فاذا صار بالفعل
صار خاصا وانما يصير بالفعل اخيرا واذا صار بالفعل اخيرا صار فرسا او شيئا اخر من الحيوان وكلما سلكت
الحيوة الى اسفل صار حيا دنيا خسيسا وذلك ان القوى الحيوانية كلما سلكت الى اسفل ضعفت وخفيت
بعض افاعيلها العالية فاذا خفيت حدث من تلك القوى شيء خسيس دني فيكون ذلك الحي ناقصا ضعيفا
فاذا صار ضعيفا احتال له العقل الكاين فيه فيحدث الاعضاء القوية بدلا مما نقص عن قوته فلذلك صار
لبعض الحيوان اظفار ولبعضه مخالب ولبعضه قرون ولبعضه انياب على نحو نقصان قوة الحيوة فيه
انتهى كلامه فظهر بما ذكره اشد ظهور ان معاد هذه النفوس الحيوانية الى طائفة من العقول التي كان مبدؤها
منها كما ان معاد تلك العقول الى العقل الاول ومعاده الى الواحد الحق وكان معاد ابدان هذه الحيوانات
الى نفوسها المتوسطة بين العالمين فان قلت فلا فرق بين الانسان وغيره من الحيوانات فان للجميع نشاة
اخرى والمشهور عند الجمهور كما هو الماثور ان الانسان مختص بالبقاء الاخروي قلنا ان كل واحد من افراد
الانسان بهويته الشخصية المتميزة عن غيره باقية محفوظة الذات المدركة لانانيتها وليس في ساير الحيوانات
كذلك بل حكمها حكم ساير القوى النفسانية في ان وجودها وجود رابطي غير مدرك لذاته كما ان قوة البصر
فينا ليست لها هوية استقلالية غير هوية قوة السمع حتى يدرك كل منها ذاته لذاتها بل النفس المدركة هي

الهوية

الهوية الجامعة لها الحاضرة لذاتها المدركة بها ساير الاشياء فالباقية بذاتها في القيمة وفي النشاة الاخرة الباقية
هي النفس القائمة بذاتها وبذات مبدعها وقيومها وساير قواها باقية ببقائها فلذلك النفوس الحيوانية
الغير المستقلة في شعورها بذاتها وبمبدعها ولا القائمة بذاتها دون مادة جسمانية طبيعية لا ينتقل
من هذه النشاة الى نشاة اخرى بهوياتها الشخصية بل يكون متصلا عند اضمحلال موادها وانفساخ
قالبها كساير المشاعر الحيوانية بمبدئها الجامع لادراكي بحذوه بل راجعة اليه باقية ببقائه **الفصل الرابع**
في حشر قوة النبات وغيرها من طبايع الاجساد اما قوة النبات فتدرجها في الوجود ارفع من درجة
صورة الجماد والعنصر لان لها ضربا من الحيوة والشعور كما يشاهد من بعض افعالها واثارها ولهذا يطلق
عليها اسم النفس في افاعيلها الثلث من التغذية والتنمية والتوليد فلها حشر تقرب من حشر الحيوانات
السفلية ولها في هذا الوجود الطبيعي ضرب من الاستكمال وتقرب من الحق المبدا الفعال ونوع منها وهي
السارية في ضرب النطف ينتهي في الترقي والاستكمال الى درجة الحيوانية ومن هذا النوع ما يتخطى بها خطوة
اخرى الى مقام الانسانية فيكون حشرها اتم وقيامها في القيمة عند الله اقرب واما ما سواها من الانواع
فهي مقتصرة في حركتها وسعيها الى الله تعالى على كمالها النباتي لتاكد وجودها الغذائي وانيتها النشوية
والتوليدية والتاكد للشيء في درجة سفلية يمنع عن الترقي عنها الى كمال اتم فيكون معاده الى الله تعالى
عند الحشر في مقام انزل فاذا قطع النبات عن اصله او يبس الشجر رجعت قوته الى مدبرها النوعي وملكوتها
الاخروي وقال الفيلسوف الاول في كتاب الربوبية فان قال قايل ان كانت قوة النفس تفارق الشجرة
بعد قطع اصلها فاين تذهب تلك القوة او تلك النفس قلنا تصير الى المكان الذي لم يفارقه وهو العالم
العقلي وكذا اذا فسد الجزء البهيمي فان تلك النفس التي فيها الى ان ياتي العالم العقلي وانما ياتي ذلك العالم لان
ذلك العالم هو مكان النفس وهو العقل والعقل لا يفارقه والعقل ليس في مكان فالنفس اذن ليست
في مكان فان لم يكن في مكان فهي لا محالة فوق واسفل وفي الكل من غير ان ينقسم ويتجزى بتجزي الكل فالنفس
في كل مكان وليست في مكان انتهى كلامه واعلم ان بين عالم الحس والطبيعة وبين عالم العقل عالم اخر

متوسطة بين العالمين ولها ايضا طبقات متفاوتة فى اللطافة والكثافة متصل بعضها ببعض وكل ما يرتقى عن هذه العالم يصل اولا الى ذلك العالم وهو عالم الاجسام المجردة ويكون الجسم الذى فيه عين الادراك لانه عالم حيوانى ادراكى لا مادة فيها والحس هناك بعين التخيل والبرهان عليه ذكرناه فى كتبنا من طريق قاعدة الامكان الاشرف الماثورة من القدماء وقاعدة الامكان الاخس الذى وضعناها فالطبيعة لا يرتقى فى الاستكمال الى درجة البيت الا وتصل قبلها الى درجة ادنى فصورة النبات اذا قطع اوجف تسلك اولا الى عالم الصور المقدارية بلا هيولى فيصير من اشجار الجنة ان كانت ذات طعم جيد كالحلاوة او نحوها الجنة الراجحة او من اشجار الجحيم ان كانت ردية الطعم مرة المذاق كريهة الرائحة كشجرة الزقوم طعام الاثيم واصول هذه الاشجار ينتهى الى سدرة المنتهى عندها جنة الماوى اذ تغشى السدرة ما يغشى كما ان جميع النفوس ينتهى الى النفس الكلية التى فوقها العقل الكلى وهو ماوى النفس الكلية كما انها منتهى النفوس الجزئية تامل تدرك ان شاء الله ثم قال الفيلسوف المعلم ان كل صورة طبيعية فى هذا العالم هى فى ذلك العالم الا انها هناك بنوع افضل واعلى وذلك انها ههنا متعلقة بالهيولى وهى هناك بلا هيولى وكل صورة طبيعية ههنا فهى صنم للصور التى هناك الشبيهة بها فهناك سما وارض وهواء وماء ونار وان كان هناك هذه الصورة فلا محالة ان هناك نباتا ايضا فان قال قائل ان كان فى العالم الاعلى نبات فكيف هو هناك وان كان ثمة نار وارض فكيف هما هناك فانه لا يخ اما ان يكونا هناك حيين او ميتين فان كانا حيين مثل ما ههنا فما الحاجة اليها هناك وان كانا حيين فكيف يحييان هناك قلنا اما النبات فنقدر ان نقول انه هناك لانه ههنا ايضا حى وذلك ان فى النبات كلمة محمولة اعلى وان كانت كلمة النبات الهيولانى حية فهى اذن لا محالة نفس ما ايضا فاحرى ان تكون هذه الكلمة فى النبات الذى فى العالم الاعلى وهو النبات الا انها فيه بنوع اعلى واشرف انتهى فقد علم من كلامه فى هذا الموضع وغيره ان لهذا العالم الطبيعى صورتان اخريان احديها نفسانية موجودة فى عالم النفس والاخرى عقلية موجودة فى العالم العقلى وسينقل من كلامه فى موضع اخر ان لهذه الارض كلمة نفسانية هى حيوتها ولها ايضا ارض عقلية فى عالم العقل وكذا الماء والنار وغيرهما

كما قال [illegible]
[illegible]
[illegible] حيوان

فاذن

فاذن قد بان ووضح ان لهذه الاجسام المبثوثة ههنا المقبورة فى مقبرة الهيولى بعثا وحشرا وعودا الى النشأة الاخرة

الفصل الخامس

فى حشر الجماد والعناصر يجب عليك يا حبيبى هداك الله الى طريق الحق ان تعرف اولا ان الوجود حقيقة واحدة مختلفة فى الاشياء بالتقدم والتاخر والكمال والنقص والوجوب والامكان وهى مع صفاتها الكمالية التى كلها عين ذاتها كالعلم والقدرة والارادة والحيوة والسمع والبصر والكلام موجودة فى كل شئ بحسبه فهى فى الذات الاحدية مقدسة عن شائبة العدم والقصور من جميع الوجوه وكذا فى المقامات العقلية لانجبار نقايصها المعلولية بوصولها الى تمام العلة وكمالها الوجوبى فلم يبق لها شائبة عدم نقصان او ظلمة امكانية فى نفس الامر الا وقد انجبرت بنور القيوم الحق ولهذا يقال لها عالم الجبروت وهى الكلمات التامات وبعد مراتبهم مراتب الموجودات الناقصة التى يشوبها اعدام خارجية ولا يخ شئ منها ما دام فى عالمها من نقص وقصور واخر الدرجات نقصانا وضعفا هى الاجسام الطبيعية وهى مع ان حقيقتها الوجودية هى عين العلم والحيوة والعقل الا انها افترقت وتفرقت فى الاقطار المادية وتباعدت اجزاؤها فى الابعاد المكانية وتعانقت مع الاعدام وغابت عن نفسها من غير حضور ونسيت ذاتها فى هذه القبور وان لا تقدر على التذكر لفقدان الجمعية الحضورية لغيبتها عن نفسها ومفارقتها عن حيزها الاصلى ومقامها الجمعى وموطنها النورى كما فى قوله تعالى الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر لكنها مع ذلك لكونها من حقيقة النور وسنخ الحضور قابلة لان تقبل من عناية الله ضربا من الحيوة وقسطا من النور لتتخلص من الموت كيلا تلحق بالعدم الصرف والهلاك البحت وتنطلق من قيد الظلمات الغاشية والحجب الغاشية والقبور الدائرة فاول كسوة نور البسها الرحمة الازلية وحيوة افادتها العناية الالهية هى الصورة الممسكة لها عن التفرق والسيلان ثم الحافظة لتركيبها عن الفساد المضاد ثم القوة النباتية لها ما يقويها ويغذيها من الخارج بدلا عما تحلل ويزيد في الاعضاء والاحجام التى يتم بها كمالها الشخصى ثم المديرة لبقائها النوعى بتوليد المثل ثم العناية الالهية عطفت على المواد هادية لصورها الى السبيل القريب والاتحاد بالتلاحق والاستعداد شيئا فشيئا وهلم الى ان يرجع

العالم المعاد ورتبة العقل المستفاد فهذا اصل ثم نقول قد اشرنا سابقا الى ان الاشياء كلها قابلة للحيوة الاشرف
والكمال الارفع ما هي فيه لكن المانع لها عن القبول هو التسفل والتنزل في منازل التفرقة والتضاد والاستمساك
بهوية جزئية مضادة لما يقابلها الكبرة في الضدية والمباينة فكلما ضعفت فيها قوة التضاد استعدت المادة
لصورة اكمل وابسط واقل تفرقة ومضادة واكثر جمعية وحيطة فهذه العناصر الاسطقسية بعيدة للتضاد
الذي فيها عن قبول الحيوة النفسانية والعقلية فكلما انكسرت كيفياتها وكمالاتها الخاصة وانخمدت قوة
تضادها قبلت ضربا اخر من الوجود ارفع وقوة اعتدالية اشرف وابسط كانها متوسطة بين الكل بوجه
مباينة عن الكل بوجه جامعة لها بوجه الطف من غير تضاد ثم كلما امعنت في الخروج عن هويات الاطراف
المتضادة بالانكسار والانهدام نالت حيوة اشرف وصورة اتم وكمالا اجمع وابسط حتى بلغت مندرجة في الكمال
المدرجة بقبل صورة النفس المتحدة مع العقل الفعال الذي هو نور الله ومثاله الاكرم واسمه الاعظم فهذا ايضا
اصل ثم نقول كل صورة كمالية توجد فيها الصورة التي دونها في الرتبة الوجودية على وجه الطف واكمل وابسط
وكل صورة ناقصة لا يمكن وجودها الا بصورة متممة لها محيطة بها مخرجة اياها من القوة الى الفعل ولولاها لم يكن
لهذه الناطقة وجود اذ الناقص لا يقوم بذاته الا بالكامل وبالقوة والامكان لا يوجدان الا بالفعلية والوجوب
فالكمال ابدا قبل النقص والوجوب دائما قبل الامكان وما بالفعل التي قبل ما بالقوة قبلية بالذات والذي
يوقع الناس في الغلط والاشتباه ما يرون في هذا العالم تقدم القوة والنقص على الفعلية والكمال
تقدما بالزمان كالبزر على الثمرة والنطفة على الحيوان ولم يعلموا ان هذا التقدم الزماني ليس من الاسباب
الذاتية للشيء المعلول بل هو جهتي للمادة ومعد لقبول الصورة من مبدءها الذاتي فاذن ثبت وتحقق
ان لكل من الصورة العنصرية والجمادية صورة اخرى كمالية في ذاتها غائبة عن ابصارنا فيه منها وليست
هي بعينها العقل الفعال بلا متوسط لانا قد اشرنا الى ان الادنى لا يصدر من الاعلى الا بتوسط مناسب
للجانبين فلكل من هذه الصور صور غيبية هذه شهادتها والاخرة هذه دنياها الا ان منازل الاخرة كمنازل
الدنيا متفاوتة في اللطافة والكثافة ومترتبة في القرب من الله تعالى والبعد عنه وميعاد الخلائق في الاخرة

على

على حسب مراتبها في الدنيا فالاشرف يعاد الى الاشرف والاخس يعاد الى الاخس ومتى انتقلت صورة
في هذا العالم من خسة الى شرف ومن نقص الى كمال كما انتقلت صورة الجماد الى صورة النبات وصورة
النبات الى صورة الحيوان كان معادها الى معاد ما انتقلت اليه وكان ذلك كما ان الرجل الفاسق اذا تاب
عن فسقه وفجوره وصار مرة صالحا عالما او رجل الكافر اذا اسلم انتقل من معاده والذي كان الى
بعض طبقات الجحيم وابوابها كان الى بعض طبقات الجنان وابوابها على حسب مقامه وحاله في الدنيا
فاذن ما من موجود من الموجودات الطبيعية الا وله صورة مثالية في الاخرة ولصورته المثالية صورة
عقلية في عالم الاخر فوقها هي دار المقربين ومقعد العليين والدليل على ان كل صورة حسية باطنها صورة
مثالية تقوم بها ويعود اليها وكل صورة مثالية باطنها صورة عقلية تقوم بها ويحيى بحيوتها وتعود
اليها انا متى احسسنا بشيء ووقعت صورته في قوة حسنا واستكمل حسنا بها تصورت بها ايضا قوة خيالنا
التي اقمنا البراهين في كتبنا على تجردها وتجرد ما تصور فيها وتمثل لها وكذا انتقل في عقلنا صورته العقلية
فلولا ان بين محسوسها ومتخيلها ومتعقلها علاقة ذاتية لما كان الامر كذلك وكذا الامر بالعكس فمتى تعقلنا
صورة وقعت منها حكاية تطابقها في خيالنا واذا اشتد وجود الصورة في عالم الخيال تمثلت بين يدي
خيالنا صورة في الخارج كما قال تعالى فتمثل لها بشرا سويا ومن هذا القبيل رؤية النبي صم صورة جبرئيل عم
كانه طبق الخافقين وكذا التي يراها الانسان في عالم الجنان من الاشجار والانهار والغرفات والقصور
الحسان والحور والغلمان وكذا ما يراها اصحاب الجحيم من السلاسل والاغلال والجحيم والزقوم والعقارب
والحيات وغيرها للتامة اثرة من الباطن الى الظاهر لان الصور الحسية قوالب للخيالية وهي ايضا والخيالية
قوالب للعقلية وهي حقايقها فاذن حشر الابدان الطبيعية الى الابدان الاخروية وحشر تلك الابدان الى
الصور العقلية وحشرها الى الله تعالى وكل صورة حسية هيولى للصورة النفسانية وهي للعقلية وقد علمت ان
الصورة تمام الهيولى التي بها يصير موجودة بالفعل وبها بقاؤها وكمالها فبقاء الحس بالنفس وبقاء النفس
بالعقل وبقاء العقل بالباري الحق فاعل الكل وغاية الكل ومتمم صورة الكل ونقول ايضا قال الفيلسوف في

المبدعات ان هيولى العقل شريفة جدا لانها بسيطة عقلية غير ان العقل اشد منها انبساطا وهو محيط بها
وان كان هيولى النفس شريفة لانها بسيطة نفسانية غير ان النفس اشد انبساطا منها وهي محيطة بها
وموثقة فيها الاثار العجيبة بمعونة العقل فلذلك صارت اشرف واكرم من الهيولى لانها تحيط بها وتفيض
عنها الصور العجيبة والدليل على ذلك العالم الحسي فان من رآه لم يلبث ان يكثر منه تعجبه ولا سيما اذا
عظمه وحسنه وشرفه وحركته المتصلة الدائمة السائرة التي فيها الظاهرة منها والخفية والارواح الساكنة
من الحيوان والهواء والنبات وسائر الاشياء كلها فاذا رأى هذه الاشياء الحسية التي في هذا العالم السفلي
الحسي فليرتق بعقله الى العالم الاعلى الحق الذي انما هو هذا العالم مثاله ويلقي بصره عليه فانه سيرى الاشياء
كلها التي رآها في هذا العالم هناك غير انه يراها هناك عقلية دائمة متصلة ويرى هناك العقل الشريف
قيما عليها ومدبرا لها محكمة لا يوصف بالقوة التي فعل فيه بمبدع العالمين جميعا ذات فضائل وحيوة
نقية ليس يشوبها شيء من الادناس وليس هناك هزء ولا تعب لان الخير المحض هناك انما هو يروى هناك
الاشياء الممتلئة عقلا وحكمة من اجل النور والبهاء الذي عليها لان كل واحد منهم يحرص على الترقي الى درجة
صاحبه وان يدنو من النور الاول الفائض على ذلك العالم العلم والعلم محيط بالاشياء كلها الدائمة التي لا يموت
ومحيط بجميع العقول والانفس انتهى كلامه فثبت وتحقق من جميع ما ذكرناه ونقلناه ان لكل صورة جسمية
صورة نفسانية في عالم الغيب هي معاد هذه الصورة ومرجعها الذي يحشر اليها بعد زوالها عن هذا العالم
عالم الحس والشهادة وهي الآن ايضا متصلة بها راجعة اليها لكنها لما كانت مغمورة في الهيولى مشوبة
بالنقائص والاعدام محجوبة بالغواشي لا يتبين حشرها الى الصورة النفسانية لمن اراد ان يراها ويشاهدها
الا اهل المعرفة الذين يشاهدون احوال الآخرة بعين البصائر فاذا انفسخت صورها المادية وتجردت
عن هذه الغواشي الجسمانية التي بالحقيقة مقبرة ما في علم الله برزت الى ذلك العالم وحشرت الى دار الآخرة كما
قال الله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى والجحيم التي ستبرز في الدار الآخرة بحيث يشاهدها الخلائق عند
ذلك بعلم اليقين هي باطن هذه الصور السفلية الطبيعية التي تحرق نارها الابدان وتبدل الجلود

بلا استحالة

بعين اليقين

بلا استحالة والذوبان لكنها مستورة ههنا على هذه الحواس الداثرة الغائبة فاذا اخرجت النفوس عن هذه
العالم وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور رآها ذلك اليوم بصورتها الكامنة اليوم كما في قوله تعالى
ثم كلا لو تعلمون علم اليقين ثم لترونها عين اليقين ومن العجائب انه كان باطن هذه النار الحسية
نار اخروية ايضا كما قال الله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وقوله واذا البحار سجرت ويروى عن ضحاك في قوله
تعالى اغرقوا فادخلوا نارا انهم في حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب آخر وعن
بعضهم يا مجرمين بصيرتنا دارا وهي النار التي وقودها الناس والحجارة وهذه النار غير نار النفسانية التي
التي تطلع على الافئدة وهما جميعا غير نار الحقد التي هي صورة عقلية يفيض عنها الصور النفسانية النا
وهذه النار المحسوسة هي كسائر الامور التي لها صور خسيسة في هذا العالم وصورة مثالية حيوانية في
عالم الآخرة وهي التي تعود وتحشر اليها هذه المحسوسة عند تبدل نشأتها الهيولانية وصورة عقلية في
عالم آخر فوق العالمين وهي التي تعود وتحشر اليها هاتان الصورتان كما مرت الاشارة اليه

الفصل الثامن

في تأييد ما ذكرناه وتأكيد ما قررناه من عود هذه الحسيات الطبيعية المتجددة الكائنة الفاسدة
الى دار اخرى باقية قد ذكرنا ان القوة الالهية لم تقف ولا تقف عند ذاتها من غير ان تفيض على ما
دونها من الاشياء فيضانا دائما بل افاض اولا على العقل وصورة على مثاله قبل ان افاض على غيره اذ
لم يجز في العناية الواجبة صدور الممكن الاخس قبل الاشرف بل لا بد من فيضان الاشرف اولا ثم الى
الاشرف والاشرف الى الاخس فالاخس ولاجرم صدر من الواجب اولا انية العقل تاما كاملا ولما كان العقل
تاما كاملا بعد الاول تعالى لم يجز ايضا وقوفه عند ذاته الا ان يصدر عنه ما يشابهه غاية ما يمكن للمعلول
ان يشابه العلة فافاض من نوره وقوته على النفس وكانت النفس لما امتلأت نورا وقوة وغيرهما من
الفضائل والخيرات لم يقدر على الوقوف على ذاتها العلة ان تلك الفضائل التي افادها العقل يشوقها
الى الفعل فسلكت سفلا ولم تسلك علوا اذ لم يقو على ذلك فافاضت من نورها وفضائلها على كل
ما تحتها وملأت هذه العالم من نورها وبهائها وحسنها من صور الانواع وطبايع الحيوان والنبات

والمعادن والاسطقسات واما الطبيعة والصورة الحسية فهي ايضا في غريزتها الفعل علا مادونها
والجود على ما تحتها بالناموس الالهي والسنة الربانية لكن الطبيعة لما كانت اخر الجواهر الصورية وادناها
فلا يقوى على شئ غير الهيولى التي هي القابلية المحضة وشانها امكان الاشياء واستعدادها وغير الحركة
التي هي خروج الشئ من القوة الى الفعل فالهيولى والحركة شانها الحدوث والدثور والاخذ والترك
والشروع والانتهاء والتجدد والانقضاء فلاجرم سيخرب هذا العالم ويزول جميع ما في الارض والسماء
الى العدم والفناء فتكر الطبيعة الى عالم النفس والنفس راجعة الى عالم العقل والعقل راجع الى الواحد القهار
كما قال ونفخ في الصور فصعق من في الارض الا ما شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فا
رجعت الاشياء الى معادها الاصلية بعد خروجها عن عالم الحركات والاستحالات والشرور والالام والا
بالموت والفساد او الفزع والصعق تعطف عليها الرحمة الالهية تارة اخرى بالحيوة التي لاموت فيها والبقا
الذي لا انقطاع لها ولهذا قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال واشرقت الارض بنور ربها
وتلك الارض الاخروية المعبوضة والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطوية هي صورة ذات
حيوة نسبتها الى هذه الارض التي نحن الان عليها نسبة السماء الحي والارض وجميع ما في ذلك العالم صورة
حيوانية ادراكية ليس لها موضوع او مادة لا صورة لها كهيولى هذا العالم واجسادها التي تكون الحيوة
عرضية لها عارضة عليها من النفس وكذلك الماء والهواء والشجر والجبال والابنية والبيوت كلها موجودة
هناك بوجود صوري نفساني بلا مادة وحركة وقوة وامكان لان صورها معلقة قايمة لا في مادة
على انها ليست الا جزئية مشاهدة محسوسة بحواس غير داثرة ولا فانية لان كلها في موضوع النفس كانها
فوق مع انها كثيرة الصور المرئية والاشكال العظام والمقادير الجسام وهذا من العجايب التي يسهل ادراكها
والاذعان بوجودها لاولى الابصار وان صعب على غيرهم الاذعان الا من طريق السماع والتقليد
وبالجملة فقد انكشف ان لهذه الصور الحسية الهيولانية من الماء والنار وغيرها صورة اخروية سنرجع هذه
ونحشر اليها باقية عندها حية بحيوتها النفسانية لما مر من ان لا صورة الا ولها نفس وعقل قال الفيلسوف

المعلم

٧٦ ٤١

المعلم في الميمر الثامن وصفة النار هي مثل صفة الارض ايضا وذلك ان النار انما هي كلمة ما في الهيولى
وكذلك ساير الاشياء الشبيهة بها والنار لم يكن من تلقاء نفسها بلا فاعل ولا من احكاك الاجسام كما ظن
وليست الهيولى ايضا نارا بالقوة ولا هي تحدث صورة النار لكن في الهيولى كلمة فعالة تفعل صورة
النار وصورة ساير الاشياء والهيولى قابلة لذلك الفعل والكلمة التي فيها هي النفس تقوى ان تصور
فيها النار وساير الصور وهذه النفس انما هي حيوة النار وكلمة فيها وكلتاهما شئ واحد اعني الحيوة
والكلمة ولذلك قال افلاطن ان في كل جرم من الاجرام المبسوطة نفسا وهي الفاعلة لهذه النار
الواقعة تحت الحس فان كان هذا هكذا قلنا ان الشئ الذي يفعل هذه النار انما هي حيوة ما نارية وهي النار
الحقيقية فالنار اذن التي فوق هذه النار في العالم الاعلى هي احرى ان يكون نارا فان كانت نار الحقيقة فلا محالة
انها حيوة فحيوتها ارفع واشرف من حيوة هذه النار لان هذه النار انما هي صنم لتلك النار فقد بان ووضح
ان النار التي في العالم الاعلى هي حية وان تلك الحيوة هي المحيية للحيوة على هذه النار وعلى هذه الصفة يكون
الماء والهواء هناك اقوى فانهما هناك حيان كما هي في هذا العالم الا انهما في ذلك العالم اكثر حيوة لان
تلك الحيوة هي التي تفيض على هذين اللذين ههنا الحيوة انتهى وقال في الميمر العاشر ان لهذه الارض حيوة ما
وكلمة فاعلة والدليل على ذلك انها تنمو وتنبت الكلاء والجبال والمعادن فانها نبات ارضي وانما تكون
هذه فيها لاجل الكلمة ذات النفس التي فيها فانها هي التي تفعل فيها وتصور في داخل الارض هذه الصور وهذه
الكلمة هي صورة الارض التي تفعل في باطنها كما تفعل الطبيعة في باطن الشجرة هي الكلمة الفعال فالكلمة الفاعلة
في باطن الارض المشبهة لطبيعة الشجرة هي ذات نفس لانها لا يمكن ان تكون ميتة وتفعل هذه الافاعيل
العجيبة العظيمة في الارض فان كانت حية فانها ذات نفس لا محالة فان كانت هذه الارض الحية التي هي صنم ما حرى
ان تكون تلك الارض العقلية حية ايضا وان تكون هي الارض الاولى وتكون هذه ارضا ثانية لتلك الارض
شبيهة بها انتهى كلامه وقال الشيخ المحيي العربي في الباب الرابع عشر وثلثمائة من كتابه اعلموا ان الحيوة
في جميع الاجسام حيوتان حيوة عن سبب وهي الحيوة التي نسبتها الى الارواح وحيوة اخرى ذاتية

للاجسام كلها كحيوة الارواح للارواح غير ان حيوة الارواح بذاتها وفي الاجسام بانتشار ضوئها فيها وظهور
قواها وحيوة الاجسام الدائمة ليست كذلك اذ ما خلقت مدبرة فحيوتها الذاتية تسبيحها وعبادتها لانها صفة ذاتية
سواء كانت الارواح فيها او لا وما يعطيها ارواحها فيها الا هيئة اخرى عرضية في التسبيح بوجودها واذا
نادتها الروح فارقتها ذلك الذكر الخاص فيدركه المكاشف والحيوة الذاتية التي في الاجسام كلها واذا اتفق
على اي جسم كان امر يخرجه عن نظامه مثل كسر انية او كسر حجر او كسر شجر فهو مثل قطع يد انسان او رجله
بزوال عنها حيوة الروح المدبرة ولم يبق عليه حيوتها الذاتية فان لكل صورة في هذا العالم روح مدبرة وحيوة
ذاتية فزوال الروح بزوال تلك الصورة كالقتل ويزول الصورة بزوال الروح كالميت الذي مات على فراشه
والحيوة الذاتية لكل جوهر غير زايلة انتهى كلامه قدس سره اقول ان الكشف والبرهان شاهدان على ان الجسم
الذي حيوته ذاتية لم ليس هذا الجسم الذي هو مادة مستحيلة كائنة فاسدة لانا قد اوضحناها بالبراهين
القطعية العقلية والحجج السمعية الشرعية وباتفاق عظماء الفلاسفة وائمة الحكمة ان هذه الاجسام التي
في امكنة هذا العالم سماوية وارضية وما بينهما كلها حادثة زائلة متجددة الاكوان كائنة وفاسدة في كل حين
لا تبقى لحظتين فكيف يكون حيوتها ذاتية انما الجسم الذي حيوته ذاتية بل هو عين الحيوة هو الجسم الاخر الذي
لا يفتقر الى مادة وموضوع ولا يحتاج ايضا الى مدبر روحاني يدبره ولا الى نفس يتعلق به ويخرجه من
القوة الى الفعل لانه عين النفس فلا يحتاج الى نفس اخرى وقد قلنا مرارا ان ذلك الجسم جسم ادراكي
بذاته وصورته صورة ادراكية بالفعل لا يحتاج الى تجريد مجردها وانتزاع منتزعها من المادة ليصير مدركة
بالفعل بعدما كانت مدركة بالقوة لان ذلك شأن اذ لا مادة له الا القوة وكل صورة ادراكية سواء كانت عقلية
او نفسانية وجودها في نفسها بعينه وجودها للمدرك كما لا تعدد في الحيثيتين له الا بالذات وقد اشرنا الى
ما رأيناه من اتحاد المدرك والمدرك والعاقل والمعقول فاذن لزم ان يكون لذلك الجسم حيوة ذاتية
لانه عين الحيوة والنفس لهذه الاجسام الدنيوية الكائنة الفاسدة فالذي افاده الشيخ نور الله سره ليس
بظاهره حقا لكن ههنا دقيقة يمكن ان يحمل كلامه عليها وهي ان المكشوف عند البصيرة والمعلوم بالبرهان

انه في

انه في باطن كل جسم من هذه الاجسام الدنيوية جسم نفساني ادراكي بتوسطه انما يقبل هذه الجسم الدنيوي
تصرف الارواح والطبايع وليس ذلك الجسم النوراني هو الذي تسميه الاطباء بالروح الحيواني وهو المنبعث
في الحيوان اللحمي من دم القلب والكبد ويسري في البدن بواسطة العروق والشرايين وذلك لان ذاك
مركب وهذا بسيط ولان ذاك ظلماني في ذاته وهذا نوراني ولان ذلك يقبل الحيوة بسبب من خارج
وعند زوال السبب يموت ويبرد وهذا حيوته ذاتية لانه صورة ادراكية وجوده عين الادراك
والشعور **الفصل السابع** في معاد الهيولى الاولى والاجسام المادية والاشارة الى غاية الاشرار والشياطين
لما علمت ان الموجودات العالية كلها متوجهة بحسب فطرتها الاصلية نحو غايات حقيقية واغراض صحيحة
يصل اليها ويسكن لديها بل الغاية لكل شيء واحد هو الخير الاقصى والعلة الاولى فاعلم ان بعض الاشياء
حظها من الوجود انها استعدادات وامكانات لاشياء اخرى كالصور والكمالات الوجودية مثل الهيولى
والحركة ولذلك الجسم المادي الذي شأنه الاضمحلال والتفرق والانقسام لولا النفوس والطبايع الممسكة
اياه عن التفرق والانفصال اذ مع قطع النظر عن تلك المحصلات الصورية المفيدة اياه ضربا من الوحدة
كان يقتضي كل جزء منه المغيبة والمفارقة عن صاحبه والبعد عنه وما لا وحدة له في ذاته لا وجود له
فان معاد هذه الاشياء الى العدم والبوار ولا يمكن استقلالها من هذا العالم الذي هو معدن الشرور
والظلمات الى تلك الدار فمآل الحركة والهيولى الى دار البوار والبطلان والانقطاع وكذا الجسم المتحيز
الكائن الفاسد فكما ان مبدأ وجود مثل هذه الامور عدمية من باب النقص والقصور فان منبع الهيولى
هو الامكان ومنبع الحركة هو القوة الاستعدادية فكذا معادها ومرجعها الى الزوال والبطلان فان
الغايات على نحو المبادي فكما علمت هذا في الجسمانيات فقس عليه نظره في النفسانيات واعلم ان ههنا
غايات اخر وهمية رتبت لطوايف من الناس من الاعتقادات الفاسدة والاماني الباطلة والاراء
الوهمية فيهم سالكون اليها في لبس وغمارة من غير بصيرة ودراية فهؤلاء الطوايف مع ولي الوجود في شقاق
بعيد فهم ليسوا عباد الله في الحقيقة ولا الله مولاهم وسيدهم بل ليس لهم مولى في الحقيقة يتولونه الا محض

الحسبان كما قال الله تعالى ان الكافرين لا مولى لهم وحيث ما يتولونه بمجرد الزعم والحسبان فلم يتخذ وليا وهو شيطان
من الطواغيت كما قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات والظلمات هي الاعدام اذ لا ظلمة اشد من الفقد والبطلان
فان شئت سمهم عبدة الهوى وان شئت سمهم عبدة الطاغوت فقد ورد بكلا ذلك القران قال افرايت
من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر
مكانا واضل عن سواء السبيل فمن تولى الله وسلك سبيله واحب لقاءه وجرى ما اجرى عليه النظام الحقيقي
واتبع الهدى تولاه الله برحمته وهو يتولى الصالحين ومن تعدى ذلك وطغى وتولى الطواغيت واتبع
الهوى فلكل نوع ما تولاه من الهوى طاغوت فتحشر لكل معبوده ويحشر اليه ولنعلم ان هذه النظامات
الوهمية والغايات الجزئية تضمحل ولا تبقى فكل من كان وليه الطاغوت والطاغوت من جوهر هذه النشاة
الفانية فكلما امعنت هذه النشاة في العدم ازداد الطاغوت اضمحلالا فيذهب بمعنافي ووروده العدم
منقلبا في الدركات حتى يحل دار البوار عصمنا الله واخواننا في اليقين من متابعة الهوى والركون الى
انزخارف الدنيا وجعلنا من عباده الصالحين الذين يتولاهم رحمته يوم الدين الفصل الثامن في التنبيه
على شرف هذه المناهج الذي نهجناه في اثبات المعاد لجميع الموجودات حتى العناصر والجماد اعلم ان هذا المنهج الذي
نهجناه وبيناه في اثبات المعاد للاشياء والوصول الى الله تعالى والدار الاخرة علم شريف ومقصد عال ومطلب
عالم وكنز من كنوز الايمان وخزينة من خزاين الوحي التي لا توجد جوهرة منها في مخزونات احد من مشاهير
الحكماء من اتباع المشائين وغيرهم من اظلاء المعلم الاول لانه بناء عظيم والقوم جميعهم عنه لفي ذهول عظيم واغطاء
شديد وانك ابقى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وذلك من وجهين
احدهما انه لم يتبين لهم بالبرهان ان الواجب جل ذكره هو غاية كل شيء بمعنى انه يتوجه اليه الاشياء ويتحرك نحوه في
حركتها الذاتية الجوهرية التي يتطور بها الجوهر الواحد في اطوارها الوجودية من ادنى المراتب الى اقصاها
ويتبدل بها الارض غير الارض وتنطوى بها السموات ويخرب هذا العالم وما فيها وينتقل في نشاتها

الذاتية

الذاتية الى عالم الاخرة لدى الواحد القهار ويصير الملك يومئذ الحق للرحمن وغاية ما ادركوه واستفادوه
من بحث الغاية وافادوه هي ان الموجودات بحقايقها واجناسها مترتبة في الشرف والخسة والعلية
والمعلولية بعضها اقرب الى الباري في درجة المعلولية وبعضها ابعد منها وقد جعل اكثرهم الوجود المشترك
امرا انتزاعيا من المعقولات الثانية والمفهومات المصدرية الصادقة على الهيات ولا شك ان المهيات
لا ارتباط بينها اذ كل واحدة منها من حيث ماهي هي ليست الا هي فالاشياء عندهم امور متخالفة متفاصلة
الذوات لا اتحاد ولا ارتباط بينها وهذا الاعتقاد حجاب غليظ لا يمكن معه معرفة الاشياء كما هي ولا
العبور من نقص الكمال ولا الارتقاء من درجة سفلى الى مقام عال لعدم تفطنهم بالرابطة الوجودية والعلاقة
الذاتية بين العلل والمعلولات ولا بان الوجود كله كدايرة واحدة متصلة ابدية على نفسها احدى قوسيها نزولية
والاخرى صعودية ولها نقطتان متقابلتان كل منهما بداية قوس ونهاية الاخرى احديهما اعني المبدا الاعلى
في غاية الشرف والعلو والاخرى اعني الهيولى الاولى في نهاية الخسة والدثور وثانيهما انهم لم يتفطنوا ولم
يذعنوا بثبوت المعاد الجسماني وورد به الشرايع الالهية واخبر به ساير الانبياء والاولياء عليهم السلم وهذه
مفسدة عظيمة توجب الاختلال في كثير من القواعد الحكمية فضلا عن الشرعية ومنها لزوم البطلان
النفوس الناقصة في العقل وكونها معطلة بعد البدن كما اليه الاسكندر الافرودسي ومنها لزوم التناسخ
من ارتكابهم لعدم تفطنهم بتجرد النفس الخيالية او يكون بعض من الاجرام الفلكية موضوعا لتخيلات
النفوس المتوسطة بين العقل الهيولاني والعقل الفعل ومنها لزوم عدم الوفاء وبطلان المكافات والجزاء
وعدم ترتب الغايات في الطبيعة وكون ارتكاز الشهوات الحيوانية والاشواق الحسية في الجبلات والغرايز
الميول والحركات وطلب الاغذية للنمو والاستعلاء في غرايز النباتات وغيرها عبثا وهباء لان هذه
الاشواق والشهوات والميول من قبل الهيولى في هذه الطبايع ان كانت لاجل البقاء على ما هو الافضل
في هذه الدار فقد بين بالبرهان ان مال هذه الدار البوار وان كانت لاجل غايات يوجد في عالم اخر
فتلك الغايات امور تخصيصية واغراض نفسية وسعادات جنانية لا يمكن تحققها في العالم العقلي الصرف

بل في دار اخرى محسوسة بحواس النفس ومنها لزوم تكذيب الانبياء عم فيما اخبروا به من اشكال الاخرة
وهيآتها وانكار ما نطق به كلام الله صريحا بحيث لا مجال للتاويل ومنها انتقاض قاعدة امكان الاشرف
كما علمت ختم ووصية اعلم يا حبيبي باني قد اودعت في هذه الرسالة اصولا وقوانينا خلت عنها زبر
المتقدمين والمتاخرين وذهلت عن دركها اذهان اكثر الحكماء من المشائين والرواقيين والاسلاميين
فعظم قدر هذه النفايس الزاهرة والدرر الفاخرة التي جادت بها يد الرحمن ومهر هذه الابكار التي لم يطمثهن
انس ولا جان واشكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار حيث انزل الله عليك من عالم الغيب الى عالم الشهادة
هذه الاسرار وافاض بنوره ورحمته ما تهتدي به في ظلمات هذه الاكوان من الانوار ولا تصغ الى ما قاله
المنكرون والمتفلسفون ولا تقعد بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله ولا تفوتك
الخير الكثير وينتقم منك قيم الملكوت وتهبط الى شواغل الطبيعة في خدمة قوى هذا الناسوت وعليك
تصون هذه الرسالة وسترها عن اعين الاغيار واياك وان تبذلها لاهل الاغترار وهم اكثر ابناء
الزمان بل كلهم الا النذر القليل من الذين لا يعرفهم غير الله لانهم المستورون تحت قباب الرحمة عن
اعين الخلق من الانس والجان واعلم ان الظلمات فاشية في هذه الاوان والغلبة في هذا العالم
لابناء الشيطان والمتنزه لهذه المعاني المتشبث بها كقادح زناد في ليلة ظلماء سوداء ذات رياح عاصفة
ذا اهوية باردة كحال موسى كليم الله يريد الاستضائة بنوره في طريق اندرست معالمها وذهبت
دلائلها فلم يبق الا مسالك صعبة ومناهج وعرة وعلامات داثرة ونجوم منكسفة يصعب السلوك
فيها والعبور عليها الا على اصحاب اقتفاء الاثار المستورة بمعرفة فما اهتدى بها من سبقت لهم
العناية بالحسنى وخفيت عن الذين يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم لئلا تقع حجة الله من ان
ويمحى اثار حكمته واعلم انك اذا تاملت ما وصفناه لك في هذه الرسالة من الاسرار اللطيفة والانوار
الشريفة وتحققت بها يهيا لك ان تصير روحك ملكا كريما وتسلك صراطا مستقيما ويعقلك
نورا هاديا الى ربك القديم بان تصير صورتك الكائنة الفاسدة نفسانية وقوتك الروحانية قدسية

وصورتك

وصورتك العقلية مادة الهية وتزول عنك الصور الحيوانية والصفة البهيمية والشهوات المذمومة
الحسية وتجلي مرآة ذاتك عن هذه الاصدية والرين فيتجلى فيها صورة الرحمن ويترائى بها كل ما في
طبقات الجنان فانا قد نبهناك مرارا على ان للانسان ان يتطور بالاطوار ويتحقق بالحقائق والانوار
ويترقى في تقلبه في الساجدين الى ان يبلغ الى مقام عليين ويقوم عند رب العالمين فان الله قد اودع
في صورته من سره ما لم يودعه في غيرها لانه عالم صغير انما مطابق للعالم الكبير فاذا سلكت مسالك الا هديت
بنور الله تصير عالما كبيرا مثله وقد وقع التنبيه على ان العالم كله حيوان ناطق حساس لكن يختلف اجسامه
بالكثافة واللطافة ويختلف حواسه بالصفاء والكدورة وقواه بالعلوية والسفلية وهو الناطق
بالتسبيح والتقديس المتجلي عليه دائما بالتجلي الذاتي الدائم فما في الوجود شيء الا الله واسماؤه الحسنى
وانما الله فهو الاول والاخر والظاهر والباطن فالوجود كله حق ما فيه شيء من الباطل وكله نور ليس فيه
شيء من الظلمة الا ما هو من باب الاعدام وما يوسوس به الشياطين للاوهام وبها يضل الناس عن
الطريق ويميلهم عن سنن التحقيق ومنهج الهداية والتوفيق واعلم يا حبيبي بانه في كثر اهل الانكار
وشاع الجهل والاصرار في البلاد والديار وجب صون الحكمة والاسرار عن الاشرار واهل الاغترار وهم
المغترون بلامع سراب الحكايات عما يرد على القلوب من الانوار وهذه الطائفة المنكرون للحق
الجاحدون لاهله كانوا في زمن كل نبي وولي وهم الذين اذا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم
من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقد افصح القرآن عن جحودهم وعتوهم وانكارهم للحق وعنادهم
في كثير من الآيات كما قال ولقد جئناك بكتاب فصلناه على هدى ورحمة لقوم يؤمنون الذين يفترون
على الله الكذب وهم لا يعلمون وقوله وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك اعلم بالمعتدين
وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون
ان ربك هو اعلم من ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فانشدك الله يا حبيبي ان لا تكون مثل
كثير من اصحابي الذين يستمعون القول ولكن لا يتبعون احسنه وكثير منهم كما حكى الله تعالى عن النوح

دهم

النجی علی نبینا وعلیه فی حق قومه قال رب انی دعوت قومی لیلا ونهارا فلم یزدهم دعائی الا فرارا وانی
کلما دعوتهم الایة ثم انی اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا ثم العجب انه ذکر فی هذه السورة تجدد طبیعة
الانسان فی نشوتها الذاتیة فقال وقد خلقکم اطوارا کما قال فی موضع اخر یا ایها الانسان انک
کادح الی ربک کدحا فملاقیه واشار فی مواضع کثیرة من القران الی مسئلة المعاد ورجوع الاشیاء کلها
الیه کما هو عادة کتابه العزیز من التکرار فی کل مسئلة شریفة غامضة صعب فهمها علی اذهان اکثر
اهل الانظار من الحکماء وغیرهم من اصحاب الفکر والاعتبار لا بهدایة الله وتعلیمه لمن یشاء من خلص
عباده فکم من ایة قرانیة وقعت فیها الاشارة الی زوال الدنیا وفناء اهلها وکل من فی الارض والسماء
بانتقالها الی النشأة الاخری ورجوع الکل بالصعق الذاتی والمحو الکلی الی الواحد الحی القیوم وهو
المبدأ والمنتهی فمنها قوله یوم نطوی السماء کطی السجل للکتب کما بدانا اول خلق نعیده وعدا علینا
انا کنا فاعلین وقوله افحسبتم انما خلقناکم عبثا وانکم الینا لا ترجعون وقوله اولم یروا کیف یبدئ الله
الخلق ثم یعیده ان ذلک علی الله یسیر قل سیروا فی الارض ثم فانظروا کیف بدا الخلق ثم الله ینشئ
النشأة الاخرة ان الله علی کل شیء قدیر وقوله ما هذه الحیوة الدنیا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة
لهی الحیوان لو کانوا یعلمون وقوله ما خلق الله السموات والارض وما بینهما الا بالحق ای بما عند الله من حقا
واصولها واجل مسمی لان وجودها الطبیعی متجددة زمانی ما قبل باجل مسمی مقدر بقدر معلوم
وقوله الله یبدأ الخلق ثم یعیده الی العالم العقلی وما عند الله من الصور الالهیة والمثل العقلیة ثم الیه
ترجعون بفناء الکل وقوله ومن ایاته ان تقوم السماء والارض بامره لان قوامها بمبادیها وصورها
العقلیة ثم اذا دعاکم دعوة من الارض بانقطاع الاجال ونفاذ الافعال اذا انتم تخرجون وقوله
وهو الذی یبدؤ الخلق ثم یعیده فی سلسلتی البدو والرجوع وقوله وله المثل الاعلی فی السموات
والارض لان مثل الاکوان الطبیعیة وهی الصورة المفارقة التی اثبتها افلاطون موجودة عنده
تم باقیة ببقائه وانه هی لیست من العالم وما سوی الله کما مر ذکره سابقا ولهذا قال لا تبدیل لکلمات

الله

الله وقوله فقال لها وللارض ائتیا طوعا او کرها قالتا اتینا طائعین وقال ونفخ فی الصور فصعق من فی السموات
ومن فی الارض الا من شاء الله وکل اتوه داخرین الی غیر ذلک من الایات المشیرة الی دثور الطبیعة وزوال
تعینها ورجوع کل ما فی الارض والسماء الی الحق تعالی وبالجملة لا شک فی ان محرک الافلاک ومجری الکواکب
لا بد وان یکون لغایة حکمیة لان محرکها ومدبرها ومجری سفینتها ومرسیها فاعل حکیم قادر علیم والفاعل
المختار اذا بلغ غرضه فی فعله ونال حکمته فی تحریک ما یحرکه فسبیله ان یمسک عن فعله وینتهی عن صنعه فمحرک
الفلک الدوار ومجری الکواکب السیار سبیله ان یمسک عن تحریک الفلک وادارة الکواکب وینقطع الفعل
والعمل واذا امسک محرک الافلاک عن التحریک ومسخر الکواکب عن الاجراء ووقفت الافلاک عن الدوران
والکواکب عن الجریان وبطل ترتیب الزمان وانهدم هذا البناء الرفیع المکان وفسدت العناصر والارکان
ووقف الکون والفساد والحرث والنسل انتقل الامر الی النشأة الاخرة کما قال یدبر الامر من السماء الی الارض
ثم یعرج الیه فی یوم کان مقداره الف سنة مما تعدون هذا مقدار یوم الفصل فی القیمة الکبری واما
مقدار یوم الجمع وهو یوم رجوع الکل الیه فی القیمة العظمی وکما قال تعرج الملائکة والروح فی یوم کان مقداره
خمسین الف سنة والاول من ایام الربوبیة کما قال وان یوما عند ربک کالف سنة مما تعدون وهذا
الیوم الالهی من ایام السنة السرمدیة الازلیة الذی تضبطه المدارک العالیة یشتمل علی سبعة اسبوع
کل اسبوع سبعة ایام من ایام الربوبیة بحسب سیر الکواکب السبعة لکل منها یوم بالانفراد وستة ایام
بالاشتراک مع الکواکب الباقیة فهذه الادوار الکوکبیة جمیعا هی الحاصلة من ضرب سبعة فی مثلها فیحصل
تسعة واربعون فالکل مع کسورها وکبائسها خمسون الف سنة والله اعلم ولکن هذا اخر ما قصدنا
فی هذه الرسالة اظهاره وکشفنا عن اسراره حامدین لله مستغفرین مصلین علی نبیه واله
اجمعین

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي اخرج من مكنونات عنايته ما ادرج في القلم وابرز الى فضاء الوجود ما خفي في العدم وفتق ما رتق واظهر ما كتم وعلم بالقلم اللوح المحفوظ ما لم يكن يعلم وفصل وقدر في النفس ما اجمل في العقل وقضى وحكم ونشر ما ادرج وادغم وفتح بالهباء الموسوم بالهيولى والعنقاء صورة العالم والصلوة على الكلمات التامات والايات الفاضلات سيما مظهر الاسم الاعظم والناهض باعباء الرسالة في تدبير نظام العالم والسائس بصنوف السياسة نفوس بني ادم محمد الذي فتح به الكتاب وختم وميز به الباطل من الحق والنور من الظلم والتبيان من آله اولي الفضائل والحكم واولاده ذوي المعالي والكرم **وبعد** فيقول خادم القوى العقلية وراصد الحقائق الملية محمد الشهير بصدر الشيرازي انه لما التمسني اجابة ملتمس جماعة من الاخوان الروحية واسعاف مقتبس طائفة من الاوداء السالوكية في بيان العناية الالهية ومعنى القضاء والقدر واللوح والقلم واثبات جودة نظام العالم على اتم ما يتصور وافضل وكيفية دخول ما يشاهد من الشرور في القدر الذي هو تفصيل القضاء الاولى وفي بيان الافعال الواقعة منا بالاختيار وان متعاطيها المضطر في صورة مختار وفي فائدة التكليف بالطاعات وتاثير الدعاء في انجاح المهمات الفت لاسعافهم هذا المختصر مستعينا بخالق القوى والقدر مرتبا المباحث في فصول ومستمحا الاصول عن فصول **الفصل الاول** في معنى العناية والقضاء والقدر العناية على ما يراه جماعة من رؤساء المشائين اتباع المعلم الاول نقش زائد على ذاته تعالى ولها محل هو ذاته تعالى وهو علمه تعالى بما عليه الوجود من الاشياء الكلية والجزئية الواقعة في النظام الكلي على الوجه الكلي المقتضي للخير والكمال المؤدي لوجود النظام على افضل ما في الامكان اتم تادية مرضية بها عنده تعالى وعلى راي من قدس الله تعالى عن ارتسام صورة في ذاته تعالى فهي كون ذاته تعالى بحيث يفيض عنه صور الاشياء معقولة له مشاهدا اياها مرضيا بها عنده على نظام هو فوق النظامات الممكنة خيرا وكمالا فليس لها محل بل هو علم بسيط قائم بذاته مقدس عن شائبة كثرة وتفصيل محيط بجميع الاشياء خلاق للعلوم التفصيلية التي هي بعده وهي

ذوات

ذوات الاشياء الصادرة عنه بطبايعها وتخصصاتها وعلمه تعالى بحسب تلك القاعدة على انها عنه لا على انها فيه اي ذاته تعالى هو عين علم هو مبدأ فاعلي لصور الاشياء لا مبدأ قابلي لها فكما ان وجوده مباين لوجود الممكنات فكذا علمه مباين لعلوم العقلاء **والقضاء** عبارة عن وجود الصور العقلية لجميع الموجودات بابداع الباري تعالى اياها في العالم العقلي على الوجه الكلي بلا زمان على ترتيبها الطولي الذي هو باعتبار سلسلة العلل والمعلولات والعرضي الذي هو باعتبار سلسلة الزمانيات بحسب مقارنة جزئيات الطبيعة المنتشرة الافراد لاجزاء الزمان **والقدر** عبارة عن ثبوت صور جميع الموجودات في العالم النفسي على الوجه الجزئي مطابقة لما في موادها الخارجية الشخصية مستندة الى اسبابها الجزئية واجبة بها لازمة لاوقاتها المعينة ويشملها العناية الاولى شمول القضاء للقدر والقدر لما في الخارج الا ان العناية لا محل لها على الراي المختار ولكل من القضاء والقدر محل **الفصل الثاني** في محل القضاء ومحل القدر اعلم ان عناية الباري اقتضت اول ما اقتضت جوهرا قدسيا يسمى بالقلم الاعلى والعقل الاول على ما وردت به الاحاديث النبوية ونطقت به الحكمة الالهية ثم انه لما تحقق في الوجود اجرام كثيرة اثيرية بعضها اثيرية دورية الحركات مختلفة الاقدار والجهات كما دلت عليه الهيئة والرصد فلها لا محالة مبادي عقلية وغايات قدسية متكثرة وبعضها عنصرية ذات مبادي حركات مستقيمة طبيعية فابدع الباري بتوسط العقل الاول عقولا اخرى قدسية هي ملائكة علمية واجراما سماوية مع نفوسها التي هي ملائكة علمية وعناصر جسمانية مع قواها الطبيعية على ما اشير اليه في الكتب الحكمية وتلك العقول القدسية انوار قاهرة مؤثرة فيما تحتها من النفوس والاجرام بتاثير الله تعالى واثر من اثار قدرته وجلاله كما ان نوريتها التي لا تزيد على ذواتها المقدسة من لمعات وجهه وجماله وبهذا الاعتبار تسمى الملائكة المقربين وعالمها عالم القدرة وكما يفيض منها صور الاشياء وحقايقها بافاضة الحق سبحانه فكذلك يفيض منها صفاتها وكمالاتها الثانوية التي يجبر بها نقصاناتها فبهذا الاعتبار او باعتبار ان بامدادها فيضها يقع التوجه الى تلك الكمالات والصفات عند فقدها وحفظها عند حضورها على قدر الامكان يسمى عالم الجبروت وهي صور صفة جبارية الله

تع ومن المحقق المبين ان صور جميع ما اوجده الله تع من ابتداء العالم الى آخره منتقشة فيها نقشا لا [بشاهد]
بهذا العين بل ما صلة فيها على وجه بسيط عقلي مقدس عن شائبة كثرة وتفصيل كما حقق في كتاب
النفس من الشفاء وذلك الانتقاش هو صورة القضاء الالهي فمحله عالم الجبروت وهو المسمى بام الكتاب
بهذا الاعتبار كما قال تع وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويسمى بالقلم باعتبار افاضة الصور العلمية
على النفوس الكلية الفلكية على ما قال سبحانه اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم وكل ما يفيض علينا من
العلوم الحقة انما يفيض من ذلك العالم ولا شك ان تلك الجواهر التي هي خزائن غيبية تع كما قال وان
من شيء الا عندنا خزائنه مقدسة عن تعلق الزمان متعالية عن التجدد والحدثان فالقضاء كذلك
ولما ثبت ان كل ما جرى في هذا العالم وسيجري مكتوب مثبت في النفوس الفلكية فانها عالمة بلوازم
حركاتها كما بين في علم الطبيعي والالهي وكما ان العالم العقلي بجوهره القدسي وهو القلم محل القضاء فكذا العالم
النفسي بجوهره النوري وهو لوح القضاء محل القدر ينتقش من قلم العقل في لوح النفس الناطقة
كما ينتسخ بالقلم في اللوح صور معلومة مضبوطة منوطة بعللها واسبابها على وجه كلي فتلك الصورة هي
قدره تع ثم ينتقش منه في القوى المنطبعة الفلكية نقوش جزئية متخصصة باشكال وهيئات معينة
مقارنة لاوقات معينة مقدرة بمقادير واوضاع معينة من لواحق المادة على طبق ما يظهر في الخارج
وهذا العالم عالم الخيال والمثال وهو لوح القدر كما ان ذلك العالم الذي هو عالم النفوس الناطقة
الكلية هو لوح القضاء وكلاهما كتاب مبين الا ان الاول لوح محفوظ من المحو والاثبات كما قال تع وانا
له لحافظون والثاني كتاب المحو والاثبات لقوله تع يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وحصول
تلك الصور المعينة المقيدة بوقتها المعين هو قدر الشيء المعين الخارجي الضروري الوجود عند تحقق وقته
كما قال تع وما ننزله الا بقدر معلوم وهذا العالم اي لوح القدر هو عالم الملكوت العمالة باذن الله
تع المسخرة بامره المدبرة لامور العالم باعداد المواد وتهيئة الاسباب ثم ان وجود تلك الصور الجزئية في
موادها الخارجية التي هي آخر مراتب علمه تع كلمات الله التي لا تنفد ولا تبيد مع اعراضها اللازمة

والمفارقة

والمفارقة التي هي بمنزلة الحركات الاعرابية والبنائية والمادة الكلية المشتملة عليها هي دفتر الوجود والبحر المسجور
المملوء بالصور كما اشير اليه في الصحيفة القرآنية بقوله تع قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان
تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا تكميل واذ قد تحقق كونه عالما بذاته وعالما بجميع معلولاته بناء على
ان العلم التام بالعلة التامة يوجب العلم التام بالمعلول ونحن قد بينا في بعض رسائلنا بوجه عرشي ان العلم — التاخر ظ
بالعلة اذا لم يكن نقشا زائدا على ذات العلة بل يكون نفس وجودها يلزم ان يكون العلم اللازم منه بالمع[لول]
ايضا نفس وجود ذلك المعلول لا امرا مباينا له فاذا كان كل صورة موجودة في الخارج سواء كانت عقلية
او مادية ينتهي في سلسلة الحاجة الى سبب الاسباب فيجب ان يكون نحو وجودها الخارجي بعينه هو
نحو علم الباري تع جل ذكره بها ثم لما كانت الاشياء الزمانية والحوادث المادية بالنسبة الى الباري
المقدس عن الزمان والمكان متساوية الاقدام في الحضور عنده والحصول لديه والمثول بين يديه ولم يتصور
فيه المضي والحال والاستقبال لانها نسب يتصف بها الحركات والمتغيرات كما ان العلو والسفل
والمقابلة وامثالها اضافات يتصف بها الاجسام والمكانيات فيجب ان يكون لجميع الموجودات بالنسبة
اليه تع معية صرفة وحضور محض غير زماني ولا مكاني بلا غيبة وفقد بل الزمان مع تجدده والمكان — غيبة ظ
مع انقسامه بالقياس اليه كالآن والنقطة وتجلد دورات السموات الجامعة للازمنة المحدودة والامكنة
والمواد المشتملة على كلمات الله مطوية في نظر شهوده دائما فانه تع ليس ينظر اليها على الولاء كلمة كلمة
منها حتى يغيب عنه ما تقدم نظره اليه او يفقد عنده ما تأخر عنه بل يكون نسبته العلمية الحقيقية
الاشراقية الى جميع الحروف والكلمات العينية نسبة واحدة غير زمانية كما في القرآن المجيد وما تسقط
من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهو دفتر الوجود
وهم وازاحة ومما استشكل في كون نفوس السماويات شاعرة بلوازم حركاتها مطلعة على كل الكوائن
الواقعة في الاعيان انه على هذا التقدير يلزم ان تكون تلك الصور المعلومة او المنقوشة غير متناهية
لامتناع انقطاع الحوادث في المستقبل كما هو رأيهم وهو باطل من وجهين اما الاول فلامتناع وجود

سلسلة مترتبة مجتمعة احادها موجودة معاً كما برهن عليه واما ثانياً فلان تلك الصور اما ان يكون
فيها ما لا يقع ابداً او ليس والاول ع والا لم يكن من الكوائن المستقبلة وقد فرض انها من الكوائن المستقبلة
وكذا الثاني والا لكان يأتي وقت يقع فيه الكل فانقطع ما لا يتناهى وهف وايضاً فيلزم اما وقوف
الوجود بعد ذلك وعدم تجدد الحوادث او جهل المبادي بها وكلاهما باطل عندهم فنقول الثاني نجيب
عن ذلك اما على راى من ذهب الى ان نسب مقادير حركات الافلاك بعضها الى بعض باعتبار ازمنة
عودها عددية كما يؤيده الرصد فبان النفوس الكائنة في مدارك الافلاك المنطبعة السارية في
اجرامها متناهية ولا يوجب ذلك تناهي صور الكائنات بوجوب تكرار الوضع الفلكي عنده الموجب
لتكرار الحوادث من الصور الجسمانية وغيرها بعدم مرور مبلغ من الالات الكثيرة على ما اشير اليه بقوله
تع والسماء ذات الرجع واليه ذهب صاحب الاشراق ومتابعوه اقتداء بجماعة من حكماء بابل وفرس
وجميع الاقدمين من مصر ويونان فللحوادث عندهم ضوابط كلية حاصلة في نفوس الافلاك عن
مباديها العقلية وتلك الضوابط الكلية واجبة التكرار الى الحوادث نزول وتعود الى شبه ما كانت
عليه لا الى عينه لامتناع اعادة المعدوم بالقواطع البرهانية فاذا كانت النفس الكلية منتقشة على
نحو كبريات الاقترانيات او صغريات الاستثنائيات الى انه كلما كان كذا كان كذا وكانت ما تتخيل
الامور الجزئية وتتخيل الوصول الى كل نقطة على نحو ادراكات الصغريات الاقترانية او الكبريات الاستثنائية
اى لكن كذا او ليس بكذا فلها ان تعلم لوازم حركاتها بانضمام هذه القضايا الجزئية الى تلك الكليات
التي هي العلم بالحوادث الجزئية على الوجه الكلي فيحصل لها العلم بالحوادث الجزئية على الوجه الجزئي وهكذا
الى ان يعود الاوضاع بعينها فلا يوجب ذلك تكرار تعلقات النفوس المجردة كما توهمه يوذاسف المنجم
التناسخي وكان ممن حكم بطوفان نوح على نبينا وعليه السلم لامتناع ذلك التكرار على ما بين في مقامه
واما على راى من زعم ان نسب الحركات الفلكية جميعها او بعضها صمية بناء على انها ادل على القدرة
واعلى في الايجاد لعدم تكررها وانحصارها ووجوب اعتقاد ما هو الاشرف في حق الله تع وقدرته وجود

وان لم يطابق

وان لم يطابق الرصد لان امور الرصد تقريبية والنسب الحقيقية ربما لا تدرك بها فبان النفوس
المنطبعة الفلكية كما ذكرنا كتاب المحو والاثبات فيصل ان في راس كل ماتين سنة من سنين العالم
الالهية التي ثلثمائة الف وستين الفاً بعده المنجمون يثبت الله في تلك النفوس صورها اوجده
في تلك السنة ثم بعد تمام الايجاد فيها يمحوها ويثبت صورها يوجده في السنة الاخرى وهكذا
الى غير النهاية على ما ذهب اليه الحكماء واشير الى تاويل هذه السنين بقوله تع يوم نطوي السماء كطي
السجل للكتب واشير الى ايام تلك السنين بقوله تع يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون اقول وفي كلا القولين نظر اما في الاول فلابتنائه على كون تلك السلسلة
المرتبة من الصور المعلومة او المنقوشة مجتمعة الاجزاء والاحاد معاً والا لما امتنع لا تناهيها وذلك بناء
على حجة تحقق جهات كثيرة من المبادي العقلية فوق ما تقرر من الجهات عندهم فيها وكذا بناء على نفي
المحو والاثبات مطلقاً في عالم الافلاك وهو ليس بشيء وايضا النفوس المجردة المتعلقة بالمواد ايضا كونها
حادثة وذهب صاحب هذا الراى الى لا تناهيها فان كانت معلومة او منتقشة صورها في المبادي
لزم لا تناهي تلك المعلومات والصور وعاد المحذور وان لم يكن شيء او بعضها منتقشاً فيها
لزم الجهل المبادي ببعض الحوادث فقد وقع فيما هرب عنه واما في القول الاخير فلان تلك العلوم المتجددة
الحاصلة في نفوس الافلاك اما ان تكون كلية او جزئية فان كانت كلية فلا فائدة فيها لما تحقق بطرده
لان الكلام في الادراكات الجزئية الحاصلة للقوى المنطبعة الفلكية وان كانت جزئية فلتغيرها
وعدم اجتماعها للتضاد بعضها مع بعض لا تحصل دفعة واحدة فان مناط الجزئية في الادراك اما
التخيل او الاحساس اذا كان المعلوم مادياً والعلم الحضوري اذا لم يكن كذلك وكلاهما في الاول وظاهر انه
لا يكون حصول الجزئيات المتخالفة المتباينة الا شيئاً فشيئاً ويجب تعاقب الاستعدادات وتوارد
الانفعالات سواء كانت في المادة الخارجية او في القوة الادراكية وايضاً من المعلوم ان كلما حصل
من جهة الفيض الاول الابداعي من الصور والكمالات في عالم من العوالم يجب تناهيها لاحتياجها

ماتين ظ

عاد ظ

الى علل وجهات عقلية متناهية للبرهان القائم على تناهي المرتبات العقلية بخلاف ما يحصل من جهة
الفيض الثاني على حسب الاستعدادات المتعاقبة الغير المتناهية فانها لا يجب تناهيها كما علمت فنقول
ح ان الصور الفائضة على نفوس الافلاك في رؤس جميع السنين المذكورة الغير المتناهية اذا لم تكن
متكررة ولا حاصلة من جهة توارد الانفعالات والاستعدادات كما قررته بل حاصلة مما فوقها على طريق
الابداع لادى الى عدم تناهي جهات الابداع وذلك ممتنع واما الرموز القرآنية فلعلها محامل وتاويلات
غير ما ذكره فالاقرب عندي ان يقال ان صور الكليات على ترتيبها التي هي عليه ثابتة في المبادي
العقلية على وجه كلي منزه عن الزمان والنفوس المدبرة الفلكية تشتاق الى كمالات تلك المبادي
العقلية لامكان حصولها لها لكونها ناطقة ذوات ادراكات كلية كما هو راي اهل الحق واذا
اشتاقت سرت علاقة الشوقية بتوسط التصورات الجزئية الى نفوسها الحيوانية التي بمنزلة
الخيال فينا فانبعث شوق وهمي تابع لادراك خيالي فحركت جرمها فحدث وضع تستعد به النفس
لاستفاضة كمال ما من الكمالات العقلية فاذا افاض عليها كمال واشرقت عليها هيئة نورية ما كنتها
متخيلتها بصورة جزئية فانبعث شوق اخر جزئي فحركت حركة اخرى الى ما لا يتناهى وكلما تشخصت الصورة
الكلية الفائضة على النفس الناطقة في متخيلة نفسها الحيوانية ادركتها وما يلزمها من الحوادث
وشان النفس ان توجهها الى بعض المعلومات واستحضارها اياها واشتغالها بها يوجب ذهولها
عن البعض الاخر وكل صورة لاحقة تذهلها عن الصورة السابقة وما يلزمها ولا يلزم وقوف الافلاك
عند سكون الشوق لحصول الكمالات العقلية باسرها لنفوسها لكونها متناهية ضرورة اذ هي موجودة
بالفعل وكان القضايا الكلية والاراء العقلية لا تستلزم حركة البدن ما لم تتخصص بالخيال ولم
تصر جزئية موجبة لشوق جزئي يوجب حركة جزئية ولا يمكننا استحضار معلوماتنا من الكليات
والجزئيات فكك فيها وكما انا ندرك صورة كلية ونتخيل فيها جزئيات غير متناهية مختلفة بحسب
المواد والازمنة والامكنة والاشكال والاوضاع والمقادير وغير ذلك على ما يعلمه الصناع في صناعتهم

وتلك

وتلك الصورة الكلية واحدة بعينها مطابقة لجميع تلك الجزئيات ولم تتغير بتغيرها فكذلك تلك الصورة الكلية
الفلكية لا يلزم تكررها ولا تكثرها بتكثر جزئياتها ولو كانت غير متناهية بل كل منها واحدة بعينها مطابقة
لجميع جزئياتها لم تتغير بتغيرها كما اشار اليه بقوله ثم وعنده ام الكتاب ولا يلزم ما يتوهم تكرر الحوادث في
العالم بتكرار الصور الجزئية عند تكرر الاوضاع المعينة على تقدير عود بعد النسب الفلكية وتناسب
ادوارها وتشابه عودها لان كل وضع يقارنه من الاوضاع السفلية والعلوية واستعدادات
المواد والصور السابقة والاحوال اللاحقة ما ليس قبل ذلك واعتبر بالفقاعات متساوية في
الماء متعاقبة حيث لم يلزم حركة الماء وتشكله في النوبة الثانية لحركته وتشكله في النوبة الاولى مع
تساوي الاسباب لامتزاج اثر السابق باللاحق فاذن يجوز ان تقبل المتخيلة الكلية بسبب ذلك
الوضع المماثل للوضع السابق صورة جزئية غير الصورة الاولى الحاصلة في ذلك الوضع **تنبيه تمثيل**
قد علم ان قلم الله ولوحه لا يشبه قلم الانسان ولوحه اللذين هما آلتان جماديتان كما ان ذات الله
وصفاته لا يشبه ذات الخلق وصفاته بل القلم الاعلى ملك روحاني قدسي واللوح ملك نفساني
والكتابة تصوير الحقائق وافاضتها فان كون الشيء قلما لا يدخل فيه القصبية او الحديدية او غير ذلك
وكذا اللوحية لا يدخل في حدها الخشبية او العظمية او غيرهما بل حد القلم هو الناقش لصور المعلومات
وحد اللوح هو المنتقش بتلك الصور وليس من شرطهما مطلق الجسمية فضلا عن خصوصياتها
بل ان اردت مثالا مناسبا لهذه المعاني التي هي القلم واللوح والقضاء والقدر فانظر بعين الاعتبار
الى النشاة الانسانية التي هي كهيئة العالم وتدبر في مصادر افاعيلها فكما ان لافعال الانسان من لدن
صدورها وبروزها من مكامن غيبها الى المظاهر الشهادتها اربعة مراتب لكونه اولا في مكمن عقله
الذي هو غيب غيوبه في غاية الخفاء كانها غير مشعور بها ثم تتنزل الى حيز قلبه اي مرتبة نفسه عند
استحضارها بالفكر واخطارها بالبال كلية وفي هذه المرتبة يحصل للانسان التصورات الكلية
وكبريات القياس عند الطلب للامر الجزئي المنبعث عنه العزم على الفعل والتعبير عن هذه المرتبة

من الانسان بالقلب لاجل تقلبه وانتقاله من معلوم الى معلوم كما هو شان العلوم النفسانية التفصيلية
الاحتمالية او الاعتبار توجهه تارة الى العقل الصرف وتارة الى الحس ثم تنزل الى خزانة خيال الشخص
جزئية وهو موطن التصورات الجزئية وصغريات القياس ليحصل بانضمامها الى تلك الكبريات
راى جزئى وينبعث منه القصد الجازم للفعل ثم تحرك اعضائه عند ارادة اظهارها فى الخارج
فيظهر فى الخارج كذلك كلما يحدث فى العالم من الصور والاعراض فان الاول بمثابة القضاء ومحله
بمثابة القلم والثانية نقش اللوح المحفوظ والثالثة بمثابة الصور فى السماء ونقش لوح القدر
عند بعضهم والرابعة بمثابة الصور الحادثة فى المواد العنصرية التى هى لوح القدر الخارجى ولا شك
ان النزول الاول لا يكون الا بارادة كلية والنزول الثانى بارادة جزئية تنضم الى الارادة الاولى الكلية
فينبعث بحسب ملائمتها ومنافرتها راى جزئى يستلزم عزما داعيا لاظهار الفعل فتحرك الاعضاء
والجوارح ويظهر الفعل وحركة الاعضاء بمثابة حركة السماء وسلطان العقل الانسانى فى الدماغ كسلطان
الروح الكلى فى العرش وظهور قلبه الحقيقى الذى هو نفسه الناطقة فى القلب الصنوبرى كظهور النفس
الكلية فى فلك الشمس فهو من العالم بمنزلة القلب الصنوبرى من الانسان كما ان العرش منه بمثابة
الدماغ منا والله بكل شئ محيط **الفصل الثالث** فى ان العالم مخلوق على اجود النظامات واتم
الاوضاع لا يتصور فوق نظامه نظام فى الجودة والفضل والبرهان عليه من وجهين لمى وانى فلنبين
ذلك فى مسلكين اما المسلك الاول فنقول فبيانه قد تحقق وتبين ان واجب الوجود اكرم العالم
تقدست اسماؤه وتمجدت آلاؤه برئ من جميع انحاء النقص ووجوده الذى هو مهيته افضل وجود
ومبدا كل فيض وجود فلا يمكن ان يكون اقدم من وجوده وجود ولا فى مرتبة وجوده وجود فلا مادة له
ولا موضوع ولا صورة ولا غاية لان هذه الاشياء تسقط اوليته وتقدمه ومن هيهنا يظهر انه واحد لتماميته
عالم بذاته لتجرده عن الموضوعات المادية والاغشية الهيولانية وبجميع الاشياء لاستنادها او رجوعها
اليه وعلم من هذا ان وجود ما يوجد عنه انما هو على محض فيض وجوده لوجود ما سواه مع علمه ورضا

ولا يفيده

ولا يفيده وجود ما يوجد عنه كمالا او كرامة او لذة او بهجة او نفعا او تخلصا من منقصة او غير ذلك من المنافع
والخيرات لكونه غنيا عن العالمين فلذلك وجوده الذى به تجوهر ذاته هو بعينه وجوده الذى به يحصل
منه غيره بل هما هناك ذات واحدة وحيثية واحدة لا انه ينقسم الى شيئين يكون باحدهما تجوهر ذاته وبالآخر
حصول شئ آخر عنه كما ان لنا شيئين نتجوهر ونتقوم باحدهما وهو النطق ونكتب بالآخر وهو صناعة نكتب ظ
الكتابة والحيلة لا يحتاج فى ان يفيض عنه شئ الى شئ غير ذاته صفة كان او حركة او آلة كما يحتاج النار
فى احراقه الشئ الى صفة هى الحرارة والشمس فى اضاءتها اطراف الارض الى الحركة والنجار فى نحت الباب الى
الفاس ولا يمكن ايضا ان يكون له فى فعله عائق او منتظر واذا فاضت عنه الموجودات بترتيب مراتبها
وحصل لكل موجود قسطه الذى يليق به من الوجود ومرتبته فيبتدئ من اشرفها وجودا كالعقول الفعالة
ثم يتلوه ما هو انقص منه قليلا كالنفوس المجردة الفلكية ثم الصور المنطبعة السماوية وهكذا الى ان ينتهى
الى الموجود الذى هو اخس الموجودات واضعفها فينقطع السلسلة النزولية عندها ولا يتخطى الى ما
دونها لعدم امكانه فهو نهاية ترتيب الامر فانه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يفيض عنه بالامتزاج بين
المواد الحسية الصور النوعية التركيبية على مراتبها المتفاوتة بحسب ترقى الاستعدادات فلا يزال يترقى فى
الوجود من الارذل الى الافضل الى ان ينتهى الى الافضل الذى لا افضل منه فى هذه السلسلة الصعودية
فاخسها المادة المشتركة والافضل منها الاسطقسات ثم المعدنيات ثم النبات ثم الحيوان غير الناطق
ثم الحيوان الناطق وافضله ما وصل الى درجة العقل المستفاد فهو غاية الوجود الى المبدأ الذى ابتداء
منه وارتقى الى ذروة الكمال بعد ان هبط منها فتم ترتيب الخير والجود وبه يتصل دائرة الوجود كما نظمه
الشاعر دو سر خط حلقه هستى بحقيقت بهم تو پيوستى اذا تمهد ما ذكرناه من المقدمات فنقول
كل مرتبة من مراتب الموجودات التى تكون فى صنفى المراتب ولا المجموع من حيث المجموع لا يمكن ان يكون
افضل مما هو عليه ولنبين ذلك فى مباحث **المبحث الاول** فى بيان ان مراتب البدو على اشرف
انحاء يتصور فى حقها وهو ان كل ما وقع فى مرتبة من تلك المراتب لا يتصور ما هو اشرف من تحصله ولا

ماهو اشرف من نوعه في تلك المرتبة من الجهة التي صدر بها عن مبدعه اما الاول فلوجوب انحصار نوع
كل منها في شخص لعدم الامتياز هناك بالعوارض المفارقة لكونها قبل الاتفاقات والحركات فاختصاص
بعض الافراد بلحوق بعض العوارض مع استواء الاستحقاق في الكل ترجيح من غير مرجح وامتياز الشيء
بنوعه او ملازم نوعه يوجب الانحصار في شخص واحد واما الثاني فلما دلت عليه قاعدة الامكان الاشرف
المستفادة من الاستاد الاول ارسطاطاليس من ان الجواد الحق والفياض المطلق لا يقتضي الاخس
ويترك الممكن الاشرف بل يلزم من فيض جوده الاشرف فالاشرف وبرهانه مذكور في كتب شيخ المتالهين
صاحب الاشراق وهي وان كانت غير مطردة في ما تحت الكون وفي سلسلة العائدات كما ظنه بعضهم لكنها
جارية في سلسلة البادیات اما ترى يا عارف كيف ابدع الباري جل شانه اولا العقول الفعالة الجواهر
المتعالية عن المواد المتمحضة مطهرة عن القوة والاستعداد اذ هي اشرف ما في الامكان من الجواهر وافضل
تلك المفارقة وانورها هو اقدمها واقربها الى نور الانوار جلت كبرياؤه ثم سائرها على الترتيب الى ما
يفيض بواسطته عالم العناصر وهو اخر العقول الزواهر الذي يسميه حكماء الفرس روان بخش ويسمى في
الشرع روح القدس في قوله تعالى وايدناه بروح القدس وهو المعلم الشديد القوى الذي قال فيه حكيم العرب
والعجم ان لله ملكا له سبعون الف وجه اي كل فيض من فيضانه وجه له في كل وجه سبعون الف لسان
اي لكل فيض من فيضانه صورة حادثة على المواد والتقييد بهذا العدد اشارة الى سلب الحصر عما يحصل عنه
باذن ربه من الصور يسبح بجميعها اي كل واحدة منها شاهدة على وحدانية خالقها كما قال وان من شيء الا
يسبح بحمده ثم صادرة عنها باذن مبدع الكل على وجه لا يعتريها نقص ولا قصور في ذواتها ولا اعياء ولا افلاك
فتور في حركاتها عاشقة لاضواء القدس مطيعة لله تعالى ولكل منها معشوق عقلي يخصه ومحرك خاص يحركه
على سبيل التشويق والامداد بل الحق ان الكل مشتاقون الى جمال رب العالمين متواجدون في عظمة اول
الاولين هو الذي ادارها وسيرها بسم الله مجريها ومرسيها لكن الكل بوسط يناسبه وبتشوق قدسي يقارنه
لاختلاف الجهات والحركات المقتضي لكثرة القادسات حسب تكثر الاجرام الحية الدائرات ولها ايضا

من كل

الب

من كل صفة الهيولانية فيها مدخل اشرفها وافضلها فلها من الاشكال افضلها وهي الكرية ومن الحركات افضلها
وهي الدورية الموجبة للحياة والنطق ومن الكيفيات المرئية افضلها وهي الضياء وتشارك السابقين
من الملائكة المقربين في انها اعطيت افضل ما تجوهرت به في اول الامر وكل اعطائها واشكالها والكيفيات
المرئية التي تخصها والكمالات الممكنة في حقها الا في النسب مع حفظ نوعها ايضا فانها لم يمكن لها في اول الفطرة
ان يعطى الشيء الذي تحرك اليه وهو ايسر عرض يكون في الاجسام واخس وهو نسبة الجسم الى سطح الجسم الذي ينطبق
عليه اخس ما يوصل له وابعد الاعراض عن جوهر الشيء هو نسبة الى شيء اخر فالاجرام السماوية يلحقها النقض النقص ظ
في اخس الاشياء التي من شانها ان يوصلها شيئا فشيئا ولا يمكن غير ذلك لان تجردها عن الوضع ممتنع
والا كانت عقلا لا اجساما وكذا الجمع بين الاوضاع لتضادها فلا محالة يحصل جزءا فجزءا الى ما شاء الله تعالى
فقد ثبت ان موجودات تلك السلسلة في غاية الفضل والشرف ولا يتصور ما هو اشرف منها **المبحث الثاني**
في بيان الموجودات الواقعة في مراتب الصعود وفي عالم التركيب في غاية الجودة وافضل النظام فنقول
ان الامور الواقعة في هذا العالم لما كان نظامها متعلقا بحركات الافلاك واوضاعها ونظام الافلاك
ظل لنظام ما في القضاء الالهي بناء على ما تقرر عندهم من ان الموجودات غير صادرة على سبيل الاتفاق كما ذهب
الى ذيمقراطيس ولا على طريقة الجزاف كما توهمه الاشاعرة ولا عن ارادة ناقصة كارادتنا المحوجة الى دواع
خارجة عن ذواتنا كما زعمه المعتزلة ولا بحسب الطبيعة التي لا شعور لها بذاتها فضلا عن شعورها بما يصدر
عنها كما ذهب اليه اوساخ الدهرية والملاحدة بل النظام المعقول الذي يسمى عند الحكماء بالعناية مصدر النظام
الموجود وذلك النظام محض الخير والكمال لبراءة المبدا الاعلى عن النقص والشين فهذا النظام الذي عليه وقع
يكون اتم النظامات الممكنة واكملها نعم على هذا يلزم ان لا يكون في الوجود امر جزافي فما او امر اتفاقي بل كله
غريزي فطري بالقياس الى الطبيعة الكلية سواء كان طبيعيا بحسب ذاته كحركة الحجر الى الاسفل او قسريا كحركته الى
فوق او اراديا كفعل الحيوان من حيث هو حيوان اذ كل ما يحدث فيجب عن سبب ويرتقي في سلسلة الاسباب
الى مبدا واحد وسبب فرد يتسبب عنه الاشياء على ترتيب علمه بها فليس في الوجود شيء مناف للطبيعة على الـ

واسبابه اذ المعلول لاينافي العلة فالحركات المتنافرة الغير المنتظمة بالقياس الى الطبيعة الجزئية منتظمة بالقياس الى الطبيعة الفلك وكذا النغمات الغير المؤتلفة والاشعار الغير الموزونة مؤتلفة موزونة بالقياس الى النظام الكل ووجود الاصابع الزايدة على خلقة الانسان طبيعي في جبلة العالم وكذا كل امر فهو بالقياس الى الكل طبيعي وان لم يكن طبيعيا على الاطلاق ولو تيسر لك ان تعلم كل شيء باسبابه وعللها ان تخرج من هذه الهاوية المظلمة مهاجرا الى الله وترتقي الى عالم الافلاك وما فوقها وما فوق فوقها الى ان تعرف المبدأ الاول حق معرفته ثم ما يتلوه من الملائكة العلمية ثم ما يتلوها من الملائكة العمالة باذن ربها ثم ما يباشر تحريكها من الاجسام الفلكية مع لوازم حركاتها من الاسطقسات ثم الامزجة والممتزجات التي توجبها الحركات وما يترتب عليها من الكاينات لرايت جميع الاشياء حسنا عندك ملايما لديك وعرفت هذا المعنى بالوجدان كما عرفته الآن بالبرهان **البحث الثالث** في ان مجموع العالم من حيث المجموع على الكمل خلقة واتم نظام قد بينى وتحقق في الكتب الحكمية وحدة العالم بجميع اجزائه وامتناع تعدد العوالم سواء كانت متخالفة في الماهية او متحدة فيها متخالفة في العدد وذهبت طائفة من متالهين الحكماء ومحققين الصوفية الى ان مجميع العالم وحدة طبيعية ببرهان نعض مقدماته حدسية وفي رسايل اخوان الصفا بيان كون العالم حيوانا واحدا ببسط من الكلام نقله يوجب الاسهاب وكذا صرح المعلم العظيم ارسطاطاليس بان العالم حيوان واحد فنقول اذا كان العالم بجميع اجزائه واحدا شخصيا فلا يجوز ان يتصور نظام اخر بدل هذا النظام الموجود يكون هو فوقه تماميته وكمالا او فوقه في الشرف والخيرية وبيانه ان ذلك النظام المفروض لا يخ اما ان لا يكون مندرجا مع هذا النظام الواقع تحت طبيعة واحدة نوعية او يكون كك وكل من الشقين بط فتصور نظام اخر مط بط اما الاول فلما تقرر من انه لا يمكن ان يكون جواهر ولا اعراض مخالفة لجواهر هذا العالم الموجود واعراضه اما العقول والنفوس الكلية وهيوليات الافلاك والهيولى المشتركة وكل واحد منها صادر عن فاعل بجهة واحدة من الجهات الفاعلية اللائقة التي تقتضيه تلك الفاعلية لا بغيرها بالذات بلا شركة من القابل واستعداد

واعراض

المب

ع

واعراض المفارقة لا تحد لا يمكن غيره فكل ما وقع من تلك الامور في مرتبة من مراتب الوجود لا يمكن تصور وقوع نوع اخر في تلك المرتبة فلا يمكن تصور نوع اخر من اجناسها يقع في شيء من المراتب الا ما هو الواقع فيها الا جنس واما الجسم بما هو جسم فهو غير مختلف الحقيقة واختلاف انواعها بامور لاحقة للجسمية المشتركة اذ ليس لها انواع بسيطة يكون جنسها وفصلها واحدا كالسواد والبياض مثلا بالقياس الى اللون المطلق واما الاجسام البسيطة فلانحصار منوعاتها من الصور بما صدرت من المبادي بحسب بعض جهاتها اللازمة اما مطلقة او بضرب من الاعانة من الصور السوابق بلا مدخلية الامور العارضة المفارقة فلا يمكن وجود غيرها واما الاعراض فلانها تابعة للجواهر متقومة بها مع اتفاق الموضوعات والحيثيات الفاعلية والقابلية لا يمكن اختلاف الاعراض ولولا مجانبة التطويل لبسطت القول على التفصيل في عدم امكان نوع ما من الاعراض خارج عما وجدت وتحققت من الاجناس العوالي وانواعها ولكن فيما ذكرناه كفاية للمستبصر وكذا حكم انحاء المركبات وصورها النوعية لكونها تابعة للكيفيات المزاجية فاذا لم يمكن تحقق جواهر ولا اعراض سوى هذه التي قد وجدت فلو فرض عالم اخر يكون لا محالة موافقا لهذا العالم في الماهية ومخالفا له في امور عرضية فقد بطل ان يكون مخالفا له في امر ذاتي واما بطلان الشق الثاني وهو كون ما يتصور في نظام اخر متحد الماهية مع هذا النظام الموجود فلوجوه منها ان العالم بجميع اجزائه اذا كان واحدا وحدة طبيعية نوعية لا يكون وجوده مسبوقا باستعداد مادة وخصوص قابل وكل ما لا يكون كك يكون نوعه منحصرا في شخص واحد ومنها ان وجود محيث لم يكن مسبوقا بزمان يكون صدوره عن الباري القيوم مرة واحدة على سبيل الابداع والمبدعات نوعها منحصر في شخصها ومنها ان قاعدة الامكان الاشرف الجارية فيما ليس تحت الكون مطردة الحكم فيه ومنها ان الفاعل لوجوده هو ذات الواجب بذاته بلا جهة اخرى ووحدة العلة توجب وحدة المعلول ومنها ان تشخصه بذاته لان المتشخص بنفس حقيقته كما هو راي اهل الحق فلا يمكن تعدده ومنها ان علمه تع بنظام الخير الذي هو عين ذاته يقتضي وجوده فلا يمكن غيره ومنها ان العلة الغائية في وجوده هي ذات المبدأ المبدأ الاعلى وعلم به وبعينها علة غائية وكل ما هو غاية

اجل الاشياء فهو فى غاية الشرف المتصور فى حقه تنبيه وربما يجب ان نعلم ههنا ان كون العالم باسره
ذا اجزاء متكثرة متباينة لا يدفع صدوره عن فاعل حق واحد من جميع الوجوه والحيثيات ولا يلزم من
ذلك صدور الكثير عن الواحد الحقيقى فى مرتبة واحدة وبيان ذلك هو ان العالم على تقدير كونه شخصا
واحدا جهتين جهة وحدة وجهة كثرة والفرق بينهما كالفرق بين الاجمال والتفصيل من ان التفاوت
انما هو بنحو من الادراك لا بشئ فى المدرك فنقول اذا لوحظ العالم باسره من جهة وحدته الشخصية
التى لا كثرة له من هذه الحيثية حكم عليه بانه مستند بالذات وبالقصد الاول الى الواحد الحق تعالى من دون
وسط وشرط وان علته الفاعلية هى بعينها علته الغائية واذا لوحظ من جهة كثرته التفصيلية حكم
عليه بانه صدر على الترتيب السببى المسببى بان يكون ابسط اجزائه واشرفها هو اقربها الى الفاعل
الحق ثم يتلوه فى الصدور ما يتلوه فى البساطة والشرف وهكذا الى ان ينتهى الى اقصى الوجود فالغرض
من اثبات الترتيب فى الممكنات ونسبة المعلولات التى فى المراتب الاخيرة الى المتوسطة والمتوسطة
الى العالية كما فعله الحكماء فى كتبهم انما هو لتصحيح صدور العالم باجزائه عن الحق الواحد من جميع الوجوه
باعتبار كثرته الاجتماعية لئلا ينثلم الوحدة الحقة بصدور الامور الكثيرة فى مرتبة واحدة لا باعتبار
وحدته الشخصية اذ لا كثرة من هذه الجهة واما كيفية صدور العالم بجميع اجزائه عن البارى الحق مرة
واحدة على سبيل الابداع مع كون بعض اجزائه تدريجى الوجود بالذات او بالعرض وبعضها دفعى الوجود
كلا وبعضها لا هذا ولا ذاك فالتحقيق فيها لا يحتاج الى احكام عدة من القوانين الحكمية مع تدبر تام وتأمل
كامل ووسعة فى التعقل ورفض للوهم والله الهادى الى طريق الصواب واما المسلك الثانى من ان
خلقة العالم على احسن الوجوه واشرف الاوضاع واتمها فهو بملاحظة امور العالم واوضاعها وكيفية ترتيبها
ونضدها وارتباط العلويات بالسفليات على الوجه المخصوص والتدبير فى منافع حركات الافلاك
ونسب الكواكب ملاحظة اجمالية فان معرفة جميعها على التفصيل مما يخرج عن نوع البشر وانما ذلك
شأن خالق القوى والقدر بل لا يمكن الانسان معرفة نفسه وبدنه ودقايق الصنع فيهما فضلا

عن معرفة

بنية

عن معرفة ما سواه فكيف يكون الحال فى كل ما فى عالم الافلاك وعالم الكون والفساد مع ما فيهما
من دقايق الحكمة ولطايف العناية فلنكتف بامور جلية من اسرار الخلقة وغرايب الفطرة فنقول
الم تر يا عارف ان مبدع العجايب وصانع الغرايب ومفيض الوجود وواهب الفضل والجود لما كان
غير متناهى القوة والقدرة شدة ومدة وعدة فلم يجز وقوف رحمته وجوده عند حد بان يحصل منه
قدر متناه من الموجودات ولا يتجاوزه ويبقى بعد ذلك الامكان الغير المتناهى بدون ان يخرج من
القوة الى الفعل ولما امتنع صدور ما لا يتناهى عنه مجتمعا لنهوض براهين التطبيق والتضايف
وغيرها ابى الضرورة لا يتأتى ذلك الا على سبيل التعاقب والافتراق فلا جرم وجب ان يكون من
مبدعاته جوهر بواسطته يستصح ويستقيم صدور المحدثات والمتجددات عن البارى المقدس عن
التغير والتصرم فيجب ان يكون ذلك الجوهر محض القوة والفاقة كما ان الواجب تعالى محض الفعلية
والجود فابدع هيولى ذات قوة غير متناهية فى الانفعال كما انه ذو قوة غير متناهية فى الفعل ثم لما كان
تجدد قبول الفيوضات الواردة على الهيولى متوقفا على امر متجدد بالطبع حادث بالطبع بالذات لا
بامر زايد على ذاته ليصير تجدده وحدوثه الذاتى منشأ لتجدد المتجددات وحدوث الحادثات فافاد بفضل
جوده وجود اجرام كريمة رفيعة دايمة الحركات لاغراض شريفة علوية هى العلة لاستعدادات غير متناهية
للحوق الى فاعل غير متناهى التأثير وقابل غير متناهى القبول ليوجب ذلك افاضة الخيرات وانفتاح
ابواب البركات دايما كما فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر الى الفلكيات واوضاعها
لانتفاع السفليات من انها لو كانت كلها ثابتات لافسدت باحراقها مواد الكاينات كما قال الله
تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا
تبصرون ولو كانت بالكلية عرية عن النور لبقى ما دون الفلك فى وحشة شديدة وليل مظلم لا اوحش
منه كما فى قوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله لكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء ولو
تجنبت انوارها او لازمت دايرة واحدة لاثرت بافراط فيما قابلها وتفريط فيما وراء ذلك ولو لم يكن

لها حركة سريعة لغفلت ما يفعله السكون واللزوم ولو لم يجعل الانوار الكوكبية ذات حركتين سريعة
مشتركة وبطيئة مختصة ولم يجعل دوائر الحركات البطيئة مائلة عن دائرة الحركة السريعة لما مالت الى
النواحي شمالا وجنوبا ولولا ان حركة الشمس على هذا المنوال من تخالف سمتها لسمت الحركة الربعية لما حصلت
الفصول الاربعة التي بها نظام الكون والفساد وتصلح امزجة البقاع والبلاد ولما كان القمر نائبا
للشمس خليفة لها في النضج والتسخين والتحليل اذا كان قوي النور جعل مجراه يخالف مجراها فان الشمس
يكون في الشتاء جنوبية والقمر شمالية لئلا يفقد السببان وفي الصيف بعكس ذلك لئلا يجتمع السخانان
ولما كانت الشمس شمالية الحركة صيفا جنوبيتها شتاء جعل اوجها في الشمال وحضيضها في الجنوب
لينجبر قرب الميل ببعد المسافة لئلا يشتد الاضاءة والتنوير وينكسر بعده بقربها لئلا يضعف القوة
عن التاثير ثم اما تاملت يا اخا الحقيقة ان خلق المركبات التامة لما لم يتم الا بكيفيات اربع فعلية
وانفعالية كالحرارة للتبديد والتحليل والبرودة للجمع والتسكين والرطوبة لقبول التخليق والتشكيل
واليبوسة لحفظ ما افيد من التقويم والتعديل كيف خلق الباري سبحانه بلطفه وجوده عناصر اربعة
واسكن كلا منها في موضع يليق به وبما سواه منها فرتبها تحت السموات ترتيبا مضموما بديعا ونظما
في مقعر فلك القمر نظاما مضبوطا عجيبا فجعل كل متشاركين في كيفية واحدة فعلية وانفعالية متجاورين
وجعل النار لكونها اخف الكل مجاورة للفلك لما بينهما من مناسبة اللطافة والنورانية ولان
الفلك يتحرك دائما والحركة علة الحرارة فوجب بمقتضى حكمته ان يكون المصاقب له حارا جدا فلم يجب في
موضعها غيرها لئلا ينمحي بشدة الحركة فيضاعف النار وبعينه سائر الاسطقسات ولما كانت الارض
اثقل الكل واثقلها وجب ان يكون مكانها في غاية السفل وفي ابعد المواضع من الفلك وهو الوسط
لما يقتضيه ضابط الترتيب ولان يكون مسكن المركبات الحيوانية وغيرها بعيدا عن عالم الحركات اذ لو
بلغت بتاثيرها اليها غيرتها وافنتها والماء لما كان اشد مناسبة للارض من جهة البرودة والكثافة
وجب ان يكون يوضع عندها والهواء لما كان اشد مشابهة للنار لشفافته ولطافته وخفته وحرارته

وحيات

وحيات يوجد بجاورها ولما كانت الكواكب وخصوصا الشمس والقمر اكثر تاثيرا في العالم السفلي
بوسيلة اشعتها المستقيمة والمنعطفة والمنعكسة جعل الارض ملونة كثيفة غبراء لتقبل الضياء وما
فوقها من العناصر مشفة لطيفة بالطباع لينفذ فيها ويصل الى غيرها ساطع الشعاع ولم يحط الماء
بجميع جوانب الارض ليستقر عليها المركبات المحوجة الى غيبة اليابس الصلب لحفظ الصور والاشكال
وربط الاعضاء والاوصال ولو احاط الماء بالارض منعت الحيوانات البرية عن استنشاق الهواء
الضروري فحصها انحسار الماء بتموجه موجبا للاخاديد وحفظها الارض لليبوسة فالحذر الماء ومنع
عن الاحاطة عناية من الله تعالى في حق عباده فهذا هو الترتيب المحكم والتركيب المتقن الذي اهتدى
العقل الى التصديق به من غير واسطة المشاهدة الحسية لغاية وضوحه وجلائه ونهاية ظهوره فان
الاعمش الكامل العقل لو تفكر بالرأي السديد وجد الشديد لاضطر الى الحكم بوجوب اماكن هذه الاذ بعينه
على هذا النمط من الترتيب ثم اما تفكرت ايها العارف في آثار رحمة الله وصنعه حتى تنبهج لها طربا وشوقا
وتترنم في عشق جماله وكبريائه بالتهليل والتكبير من ان الصور العقلية لما اوجبت باقيات
بالعدد وباقيات لا بالعدد كيف تم جود الواهب الحق بفيضان الديمومة النوعية الشخصية في هذا
الصنف باعطاء الديمومة النوعية فوفى لكل منهما قسطه من الجود فصار العالم الطبيعي منتظما بصنفي
الثبات والدوام وكيف استبقى نوع ما وجب فساده من الحيوان والنبات بقوة مولدة قاطعة
لفضلة من مادة هي مبدأ الشخص جزء ولما لم يحصل كمال الشخص اولا [illegible] ت لها النامية المتوجهة
لزيادة الاجزاء في الاقطار على نسبة محفوظة ولما توقف فعلهما على الغذاء [illegible] رتب
ورتب للغاذية خوادم من قوة جاذبة باتيها بما يتصرف فيه وهاضمة محيلة للغذاء معدة اياها للنفس
الغاذية وماسكة تحفظ الغذاء لتصرف المتصرف ودافعة لما لا يقبل المشابهة وكيف رتب للحيوان
قوى اخرى من مدركة ومحركة وزاد المزاج الاشرف الانساني كلمة طيبة اذا اطاعت امر باريها وكملت
بالعلم وصعدت اليه وشابهت المقربين من المبادي والعلل ولو تدبرت في كيفية تدبير النفس للبدن

وحصول الفترة التدبير ومحبة التصرف وعشق المقارنة والم المفارقة بينهما مع ان البدن كالثقل الكثيف
والنفس كالنور اللطيف لقضيت العجب وقلت كيف يتصور الازدواج بين النور والظلمة والايتلاف بين
العلوى الذى قال الله تعالى نعظما الشانه ورفعناه مكانا عليا وقال ان كتاب الابرار لفى عليين والسفلى
المشار اليه بقوله ان كتاب الفجار لفى سجين اذ بينهما من المنافرة والمخالفة فى الماهية ما لا يخفى فانظر كيف
تلطف الخالق بحكمته الشاملة وانعم بحسن عنايته العامة ان خلق البدن الكثيف من مادة النطفة ومن
لطافة القلب الصنوبرى ومن لطافة الروح النابعة فيه التى هى فى اللطافة والصفا كالفلك البعيد
عن التضاد وفى التوسط بين الاطراف بمنزلة الخالى عنها المشابه للسبع الشداد من جهة صفائها ونقائها
ونورها وضيائها وبعدها عن التضاد الموجب للفساد بصيرة مرآة للنفس الناطقة بها يدرك الوجود
كله على هيئته ونقشه وصورته ورقشه كليا وجزئيا اما كلياته ففى ذاتها المجردة واما جزئياته ففى
تلك المرآة المجلية فاذن فى الانسان شئ كالملك وشئ كالفلك فصار بهذين الاعتبارين مغرب
العالمين ومنتهى الاقليمين فانظر الى اتقان حكمة المبدع كيف بداء بالوجود من الاشرف فالاشرف
حتى اختتم بالجسم الذى هو اشرف الاجسام والطفها واصفاها وهو السماء الاولى وسدرة المنتهى
الى نهاية عالم الروحانيات وبداية عالم الجسمانيات فكان تلك الانوار المجردة عندها تتكثف وتتجسم
وتتكدر وتتجرم وافتتح بالاخس فالاخس حتى انتهى الى اكثف الاجسام الهاوية ثم فتح فاتحة اخرى
للاخلاص فتذهيب ذهبا خالصا وعكس الترتيب الاول من الخسيس فالاخس الى النفيس فالانفس
حتى بلغ الى ارواح هى كالافلاك ونفوس هى كالاملاك الى ان وصل الى خاتم الرسل وهادى السبل الذى
يشبه العقل الاول والله سبحانه هو المبداء والمنتهى فى الاخرة والاولى **الفصل الرابع** فى كيفية دخول
الشر فى القضاء الالهى اعلم ان اسم الشر يطلق بحسب العرف العام على معنيين احدهما ما هو عدم محض
كالموت والنقص والفقر والجهل وامثالها فانها عدميات محضة وهو على ضربين عدم ليس ذلك
العدم هو عدم مقتضى طبايع الشئ ولا ما يمكن حصوله من الكمالات والخيرات كقصور الممكن عن الوجوب

الدائم

الواجب

الواجبى والوجوب الذاتى وكذا قصور كل ما لمن العقول الفعالة عن سابقه وقصور النفس عن
العقول والاجسام عن النفوس والهيولى عن الجميع فان الكمال المطلق والخير المحض منحصر فى الحق الصرف
والوجود المحض الذى ليس فيه جهة امكانية ومن عداه من المهيات المعروضة للوجود لا تخلو من شرية
ما على تفاوت امكاناتها بحسب تفاوت مراتبهم فى البعد عن ينبوع الوجود فهذا الشر منبعه الامكان
الذاتى والثانى ما يكون عدم مقتضى الشئ او ما يمكن حصوله من الكمالات الثانية وغيرها ولا يتصور
هذا فى غير الماديات فان العقول الفعالة حيث يكون وجود كل منها على اكمل ما يتصور فى حقه فلا يكون لها
شرية بهذا المعنى وما عداها من الامور المتعلقة بالهيولى لا تخلو من شرية على تفاوت امكاناتها الاستعدادية
بحسب مراتبها فى التعلق بالهيولى فهذه الشر منبعه الهيولى ومنبع الهيولى هو الامكان فمنبع الشر
مطلقا هو الامكان لانها صدرت من البارى لاجل جهة الامكان فيها فمنبع الشر مطلقا هو الامكان والمعنى
الثانى هو ما يمنع شيئا اخر عن الوصول الى كماله كالبرد المفسد للثمار والحر المعفن لها والمطر المانع للقصار
عن تبييض الثياب والاخلاق المذمومة المانعة للنفس من وصولها الى كمالها العقلى كالبخل والجبن
والاسراف والسفاهة وامثالها والافعال الذميمة كالزنا والسرقة والنميمة وما اشبهها من الالام
والاحزان والغموم وغير ذلك من الاشياء التى معانيها وجودية ولكنها تتبعها اعدام فنقول اطلاق لفظ
الشر عند الحكماء على المعنى الاول حقيقة وعلى الثانى مجاز لان الشر الحقيقى لا ذات له بل عدم ذات او
عدم كمال لذات والبرهان على ذلك انه لو كان الشر امرا وجوديا فلا يخلو اما ان يكون شرا لنفسه او شرا
لغيره ولا جائز الاول والا لما وجد اذ الشئ لا يقتضى عدم نفسه او عدم كماله كيف وجميع الاشياء طالبة لكمالاتها
لا مقتضية لعدمها والا لو اقتضى لكان الشر ذلك العدم لا نفسه وكذا الثانى لان كونه شرا لغيره اما
لانه يعدم ذلك الغير او يعدم كمالاته فانه لو لم يكن معدما لشئ اصلا لوجوده ولا لكماله وجوده فليس بشر
لذلك الشئ البتة للعلم الضرورى بان كل ما لا يوجب عدم شئ ولا عدم كمال له فلا يكون شرا لذلك الشئ
فاذا كان كونه شرا لكونه معدما للشئ او لبعض كمالاته فليس الشر الا عدم ذلك الشئ او عدم كماله لا نفسه

الامر الوجودي المعدوم بل هو في ذاته من الكمالات النفسانية او الجسمانية فان الظلم وان كان شرا بالقياس
الى المظلوم والى النفس الناطقة التي كمالها ان تقهر قواها وتكسرها لكنه خير بالنسبة الى القوة الغضبية من
حيث هي كذلك وكذا الاحراق كمال للنار وانما هو شر بالقياس الى من يفقد به سلامته فعلم ان الشر اما عدم ذات
او عدم كمال الذات وكل ما لا يكون كذلك فهو خير فالوجود من حيث انه وجود خير محض والعدم من حيث انه
عدم شر محض فقد ظهرت بما ذكرنا من البرهان صحة دعوى اشتهرت بين الحكماء ما صححوها بالبرهان بل تارة اكتفوا
فيها بمجرد استقراء غير تام وتارة التجاؤا الى الامثلة الجزئية وان ما ذكروه من الامثلة لايضاح ما ربما اشتبه على
بعض الاذهان ثم انك قد علمت ان الشر الذي هو بمعنى العدم منه ما هو من لوازم المهيات التي لا علة
لها ومنه ما لا يكون من هذا القبيل بل قد يلحق المهيات لا من ذواتها فلا محالة لا بد له من علة وسبب وكلاهما
ليس في الشق الاول الذي لا ميته لازم من المعلوم انه ليس للمهيات في كونها ممكنة ولا في حاجتها الى علة
لوجودها سبب ولا القصور الممكن عن درجة الواجب بذاته ولا التفاوت مراتب هذا النقصان في
المهيات علة بل انما ذلك لاختلاف المهيات في حدود ذواتها لا لامر خارج عنها فلو كان النقصان
في الجميع متشابها لكانت المهيات مهية واحدة بل الكلام فيما هو من القسم الاخر وهو عدم ما هو من الامور
الزايدة على مقتضى النوع كالجهل بالفلسفة مثلا للانسان فان ذلك ليس شرا له لكونه انسانا بل
هو شر له لانها اقتضاها شخص مستعد لها مشتاق اليها دون غيره لا من حيث انه انسان بل من حيث
انه وجد فيه هذا الاستحقاق والاشتياق الذي لا صلاح فيه نعم وهذا الشر انما يوجد في الاشياء على
سبيل الندرة والشذوذ فكلما وجد فهو اما خير محض او خيره اكثر من شره واما ما يكون شرا محضا
او مستولي الشرية او متساوي الطرفين فمما لا وجود له اصلا حتى احتيج الى مبدأ اخر غير الواجب بالذات
كما توهم الكفرة المجوس وكل واحد من القسمين المذكورين اولا من افراد الخير فيجب صدورهما جميعا عن
الواجب بالذات الذي هو فاعل الخيرات مثال القسم الاول منهما عالم العقول وعالم الافلاك اذ هما بريئان
من الشرور والفساد الناشيين من سنخ التضاد ومثال القسم الاخر عالم العناصر الموجب للشرور على

سبيل

سبيل القلة ولن تسوغ عناية المبدع ورحمة الجواد اهمالها والا لزم ترك خير كثير لشر قليل وذلك شر كثير فالشر
مقتضى بالعرض لا بالذات وذلك ايضا انما يكون لاجل النفع في اشياء اخر ولو لم يخلق لخلق سربال الوجود
وقصر رداء الجود وبقي في كتم العدم عوالم كثيرة ونفائس جمة غفيرة فمن هذه الحيثية يكون مقتضيا بالذات
كيف ولو لم يكن في عالم العناصر تضاد فمن اين يحصل الفعل والانفعال والكسر والانكسار وتنتقل الهيولى
من صورة الى صورة ومن حالة الى حالة حتى تبلغ الى الغاية وتقبل العقل المستفاد الذي يضاهي الملكوت
الاعلى في الشرف والكمال والاحاطة بالمعلومات مع ان مثال هذه الوقايع لانه في الطبايع من مصادمات
وقعت بين سكان العالم اتفاقا دون التفات من المبادي العالية اليها ووجود كل من الجزئيات منوط
بسلسلة من الاسباب يلزم من عدمه عدمها وهو خلل عظيم في نظام الجزئيات فان وجود نوع يفسد بعض
اشخاص نوع اخر فانما يعده شرا من يظن ان العالم الاعلى وعظايم الامور ما خلق الا لاجل الانسان وهذا
جهل محض كيف والعالي كما هو عين ملتفت الى السافل خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار
ولا ابالي وليس ان الباري تعم مشتغل الذات بايجاد القبايح والمفاسد وتمكين الظلمة والمشركين في
افعالهم وعقايدهم وابقاء الدول الجابرة ونشر السياسات الدموية واهمال الاطفال عن حضانة مرضعاتهم
بامانتها واذلال العلماء ورفع رحال الجهال الى غير ذلك من الوقايع وقد قال عز من قايل وما ربك بظلام
للعبيد بل الكل توابع لقضايه وقدره ولوازم مفادة لحركات كلية لاغراض علوية مقدرة بهياتها وازمنتها
في عالم اخر كما قال الله تعم وكل شيء عنده بمقدار وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم على ان جميع
اسباب الشر انما توجد تحت كرة القمر في بعض جوانب الارض التي هي حقيرة بالنسبة الى الافلاك المعتورة تحت
ايدي المطموسة تحت اشعة العقول الاسيرة في قبضة الرحمن ولا نسبة لها الى جناب الكبرياء الباهر بهاها
على الضياء ثم ان اصابة الشر في هذا العالم انما هي لبعض الاشخاص وفي بعض الاوقات والانواع محفوظة
واما بالقياس الى نظام الكل فلا شر اصلا اذ قد عرفت ان هذا النظام شريف فاضل وجميع ما وقع طبيعي بالقياس
اليه والطبيعي للشيء لا يكون شرا فقد تبين وتحقق بالبرهان الساطع ان كل ما تقتضيه حكمته تعم وقضه

النفوس ظ

كان حسنا وخيرا ومن ظن انه شر كان لخلل في عقله وقصور في فهمه لا لشر في النظر الا وهو خير من جهات اخر
لا يعلم الا منشيها وموجدها فاذن تصور ذرة الشر في بحر اشعة شمس الخير لا يضرها بل يزيدها بهاء وجمالا
وضياء وكمالا كالشامة السوداء على الصورة المليحة البيضاء تزيدها حسنا وملاحة واشراقا وصباحة
فسبحان من تقدست كبرياؤه عن تفضل الافعال وتصوير الامثال والاشكال وجل جناب الحق عن امثال
هذا الخيال الكم اوهام وتنبيهات لا يبعد ان يذهب على الاوهام العامية ان الفاعل للكل اذا كان مختارا
فلم لا يختار ايجاد اشياء من الخيرات والشرور فلا يمتنع عليه شي فهذه الابحاث ساقطة على هذا التقدير فنقول
اختياره تعالى ارفع من هذا النمط كاختيارنا ولا يمكن ان يكون ارادته مساوية النسبة الى الشي ونقيضه
بلا داع ومصلحة انما كان ذلك مذهب جماعة قصرت افهامهم عن درك حقائق الاشياء وكيفية ارتباطها
بالمبدء الاعلى فارتكبوا كثيرا من المحالات الناشية عن اصولهم الفاسدة من جملتها الترجيح بلا مرجح ونفي
اللزوم في شي من الاشياء وتجويز صدور كل قبيح من الله تعالى فلا شك انه على ذلك ينسد باب اثبات الصانع
فانه يجوز ح تخلف النتيجة عن كل قياس وان كانت صورته صورة الشكل الاول ومادته الاوليات وخلق
نتيجة اخرى عقيبها ولم يتفطنوا انه على تقدير ان لا يكون امور العالم منوطة بقوانين كلية مضبوطة بل
يكون صدورها بارادة جزافية كما ظنوا لم يكن اولياء الله واحباؤه ممنوة بالمحن الشديد وتسلط الاعادي
عليهم مدة مديدة بل كانوا اتم جمع لهم بين المثوبة في الاخرة والسلامة في الدنيا وافسد من ذلك ما قال بعضهم
من ان الفلاسفة لما قالوا بالايجاب والجبر في الافعال الالهية نحوضهم في هذا البحث من جملة الفضول لان
السؤال لم عن صدورها عنه وارد كصدور الاحراق من النار لانه يصدر عنها لذاتها وجوابه بعد تسليم هذا
الافتراء على هؤلاء العظماء ان بحثهم عن كيفية وقوع الشر في هذا العالم لاجل ان الباري تعالى خير محض
ليبطل عندهم ولا يجوزون صدور الشر عنه لانه شرير فبرائة فيلزم عليهم في بادي النظر ما ذهب اليه
الثنوية الى اثبات مبدأين احدهما مبدأ الخيرات والاخر مبدأ الشرور فقالوا الا ان هذه المفسدة
الصادر عنه تعالى ليس بشر بل الصادر عنه اما ما يتبرى بالكلية عن الشر واما ما يلزمه شر قليل لمنبع الامكان

او الهيولى

او الهيولى وكلا القسمين من افراد الخير فيجب صدوره عن الخير الحقيقي وغيرها ذكر من اقسام الشر موجود
فلا يقتضي مبدأ اخر كما مر وقد تفاخر ارسطو بذلك الكلام في دفع شبهة الثنوية قيل لو كانت الشرور
الواقعة في هذا العالم كالجهل والكفر وامثالها بقضائه تعالى وقدره يجب علينا الرضا به لان الرضا
بما يريد الله تعالى واجب كما في الحديث القدسي من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليخرج من ارضي
وسمائي وليعبد ربا سواي ولا شك ان الرضا بالقبيح قبيح كما ورد الرضا بالكفر كفر فكيف التوفيق بين
هذين الحكمين وما اجاب عنه بعضهم من ان الواجب الرضا بالقضاء لا بالمقضي والكفر وامثاله مقضي
لا قضاء ومحصله ان الانكار المتعلق بالمعاصي والقبايح انما هو باعتبار المحل لا باعتبار الفاعل فان
الاتصاف بالسكون منكر دون خلقها وايجادها والرضا انما يتعلق بايجادها الذي هو فعل الله
تعالى ليس بشي كما ترى بل الحق في الجواب ان نفرق بين القضاء بالذات وهو الخيرات كلها والمنهي عنه هو
الرضا بما يلزم من القضاء على سبيل العرض وهي الشرور اللازمة للخيرات الكثيرة وهذه ايضا اذا لم يعتبر
من هذه الحيثية بل قصد اليها بالذات وبالقياس الى هذا الشخص الجزئي الموصوف به واما اذا اعتبر
كونها متضمنة للمصالح والحكم الكلية بالقياس الى النظام الكلي فلا شك لان هذا الترتيب والتمييز من
لوازم الوجود والايجاد كما علمت ولعلك تقول ان اكثر افراد الانسان الذي هو اشرف انواع القسم
الاخير يغلب عليهم الشرور فان مناط تحصيل السعادة والشقاوة الاجليتين اللتين يستحق بالقياس
اليهما السعادة والشقاوة العاجلتان للنفس انما هو باستعمال قواها الثلاثة النطقية والشهوية
والغضبية لاكتساب ما ينبغي ان يكونوا بحسبها من الحكمة والعفة والشجاعة والغالب على اكثرهم على ما
نرى اضداد هذه الامور اعني الجهل وطاعة الشهوة والغضب فيلزم كونهم من الاشقياء والاشرار لا سيما
في الاجل فاعلم ان الجهل الذي لا نجاة معه في الاخرة هو الجهل المركب الراسخ المضاد للعلم اليقيني وهو نادر
كوجود التعين الذي يوجب قسطا وافرا من السعادة واما الجهل البسيط الذي لا يضر في المعاد فهو
عام فاش في نوع الانسان وكذا حال اللذتين الاخرويتين فالبالغ في فضيلة العقل والخلق وان كان

نادرا كالشديد الزول فيها لكن المتوسطين على مراتبهم اغلب واوفر واذا ضم اليهم الطرف الاعلى صار اهل
النجاة غلبة عظيمة وقد شبهت الحكماء حال النفوس في انقسامها الى هذه الاقسام بحال الابدان في انقسامها
الى البالغ في الجمال والصحة ومتوسط وهو الاكثر والقبيح السقيم وهو اقل من المتوسط فضلا عن مجموع
القسمين فاذن قد ثبت ان الشر ليس بغالب على ان الحكم الجزم بان رحمة الله لا ينال الا القليل من عباده
مشكل وقد قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون فانه يدل على انخراط الجميع فيها مع زيادة
تخصيص لاهل الدرجة العليا بها ثم لك ان تقول من جملة الاصول المقررة ان كل ما يجوز صدوره عن
الواجب تعالى فيجب وقوعه لعدم البخل والمنع هناك فقد كان جائزا ان يصدر عنه تعالى خير محض مبرا عن الشر
اصلا لكنا نقول هذا النمط واجب في مطلق الوجود لا في كل وجود فقد اوجد ما امكن ان يوجد على الوجه المذكور
فلو لم يوجد ما لا يتم عن شرها لكان الشر اعظم فان عدت وقلت لم ما اوجد القسم الثاني بلا قصور وافة
قلنا فلم يكن هو هو ورجع الى القسم الاول وقد فرغ عن وجوده ولو كانت المهيات كلها برية من الشرور
التي هي لوازم لها لكانت المهيات واحدة ومن المحال ان تكون النار نارا ولا يوجد لها لازم النارية من
احراق الثوب لا فقه الا ان يكون الثوب ثوبا بل شيئا اخر لا تحرقه النار وان اشتبه عليك بعد هذه المباحث
انه لما كانت الافاعيل البشرية من الفضايل والرزايل والطاعات والمعاصي وبالجملة الخيرات والشرور كلها
مقدرة مكتوبة علينا قبل صدورها مجبورة فينا فلماذا يعاقب من ابتلاه القدر بارتكاب الخطيات
واقتراف الشهوات فاعلم ان العقاب على المعصية ليس لان الاول المتعالي عن سمات الحادثات يستولي
عليه الغضب ويحدث له الانتقام بل النفوس انما يترتب عليها الثواب والعقاب بهيئات ساقها اليهم
القدر والثواب والعقاب من لوازم الافاعيل التي اقترفناها من قبل وثمراتها ولواحق الامور الموجودة
فينا وتبعاتها فالمجازاة اظهار ما كتب علينا في القدر وابراز ما اودع فينا وغرز في طباعنا بالقوة كما
قال سبحانه سيجزيهم وصفهم وان جهنم لمحيطة بالكافرين فمن اساء عمله واخطا في اعتقاده فانما ظلم نفسه
بظلمة جوهره وسوء استعداده فكان اهلا للشقاوة في معاده فان رجعت وقلت ما بال التفاوت

فيما

فيما قدره الله تعالى وقضاه من الفضايل والرزايل والسيئات ولم لم نتساو ونتعادل في الخيرات
والشرور ولا نتشاكل ولا نتماثل في السعادة والشقاوة وباي شيء صار السعيد سعيدا والشقي شقيا
واين عدل الله فينا وقد قال الله تعالى وما انا بظلام للعبيد فنجيبك يا اخا الحقيقة ايدك الله وايانا
بروح منه بان الاستعدادات متفننة والحقايق متنوعة والمواد السفلية بحسب الخلقة والمهية
متباينة في اللطافة والكثافة ومزاجاتها مختلفة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي والارواح
الانسية التي بازائها مختلفة بحسب الفطرة الاولى في الصفاء والكدورة والقوة والضعف مترتبة
في درجات القرب والبعد من الله تعالى لما تقرر وتحقق ان بازاء كل مادة ما يناسبه من الصور فجود
الكمالات لاتم الاستعدادات واخسها لانقصها كما اشار اليه في قوله عم الناس معادن كمعادن الذهب
والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام مجادلة كلامية وزنابرة برهانية ولعلك لا اعتبار
بالمجادلات المشهورية والخطابيات الجمهورية تضطرب فضول وترجع فتقول ان ما جاد الفلسفي
ان يقيم للشرور والقبايح الكاينتين في الوجود معذرة ويحبب الله عز وجل الى عباده فقال ان ههنا
ما هو صلاح وخير بالنسبة الى النظام الكلي والامر العام وما هو كذلك بالقياس الى النظام الجزئي والامر
الخاص واذا تعارضا فلا بد من تقديم صلاح الاول واهمال جانب الجزئي كمن قطع عضوا لصلاح الجسد كله
وجعل كل شر وخير لاحقين لاحاد الناس واجبين في النظام الكلي وهو فاسد من وجهين احدهما انه
يلزم منه ان يكون رب العباد فارقهم وهاجرهم ورماهم بالمصايب والنوايب تقديما لغيرهم عليهم وهذا
ما يسوؤهم جدا ويسيء ظنهم بربهم لان عناية كل شيء مصروفة الى نفسه قبل كل شيء فاذا راى ربه يؤثر غيره
عليه ويرميه بالغضب والعذاب لاجله يأس من رحمته وندم على عبوديته واي فائدة له في ان يكون ذلك
الشيء جزءا فهو جزء لنفسه الا ان مقتضاه مصايبه وافاته وجاء في المثل غثك خير من سمين غيرك والوجه الثاني
انه اراد بهم ربهم عاجزا مضطرا اذا ظن انه لا يجد سبيلا الى صلاح الانام واقامة النظام الا بايذاء الضر على
هذا العاجز المسكين فما له ان يعبد ربا عاجزا فانه لا يعبد ربه الا انه يجد نفسه عاجزا فقيرا فيلتجي الى غني

عزيز فاذا كان هو عاجزا مثلك فقد فر من العجز الى العجز تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فنجيبك بمثل ما قال
الشاعر هون على بصري ما شق منظره فانما يقظات العين كالحلم فاسمع ما يثنيك من غيظك
ويكفيك اذا التزم بك فلست اول من زلت قدمه في هذا المقام واستقر قلبه من هذا الكلام واعلم واستقر
ان الطاعة كل هيئة يقتضيها ذات الانسان لو خليت عن العوارض الغريبة فهي الفطرة الاولى التي
فطر الله عليها العباد كلهم والمعصية كل ما يقتضيه بشرط عارض غريب فهي تجري مجرى المرض والخروج
عن الحالة الطبيعية فيكون ميل الانسان اليه كشهوة الطين التي هي غريبة بالنسبة الى المزاج الطبيعي
لم يحدث الا لحدوث مرض وانحراف عن المزاج الاصلي الجبلي وقد ثبت في الحكمة ان الطبيعة ليست عارض
غريب يحدث في الجسم المريض مزاجا خاصا يسمى مرضا كما ان الصحة ايضا من الطبيعة على قياس الحركة
الطبيعية الحاصلة من الطبيعة في ذاتها والقسرية الحاصلة منها بسبب القاسر فيكون كل من الحالتين
ملائما لها في وقت مخصوص وقد ورد في الحديث القدسي اني خلقت عبادي كلهم حنفاء وانهم ان
الشيطان فاجتالهم عن دينهم فالطاعة هي الحنيفية التي يقتضيها ذواتهم لو لم يمسهم ايدي الشيطان
فاذا مستهم ايدي الشياطين اضرت عليهم فطرتهم الاصلية فاقتضوا اشياء منافية لهم مضادة
لجوهرهم النبي الالهي من الهيئات الظلمانية ودنس انفسهم وما جبلوا عليه فاحتاجوا الى رسول مبلغ
من الله يتلو عليهم الايات ويبين لهم ما يذكرهم عهد ذواتهم من الصلوة والصيام والزكوة وصلة الارحام
المعتبرها من الطاعات ليعودوا الى فطرتهم الاصلية ويصير فعل الخيرات والعبادات طبيعيا لهم بلا
كلفة ومشقة واليه اشير بقوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وهم الذين باشرت انوار الحق نفوسهم
حتى خشعوا لها فان الله اذا تجلى لشيء خشع له ثم ان هذا المرض الذي عرض لذواتهم والحالة المنافية
التي قامت بهم لولا ان وجدا من ذواتهم قبولا لعروضها لهم ورخصة في لحوقها بهم لم يكونا يعرضان لهم
ولا يلحقان بهم فاذن كان مما يقتضيه ذواتهم ان تلحقهم امور منافية مضادة لجواهرهم فاذا لحقتهم
تلك الامور اجتمعت فيها جهتان فكانت ملائمة منافية اما كونها ملائمة فلان ذواتهم اقتضتها واما
كونها

كونها منافية لهم لم يكن ما فرضناه مقتضى لها بل امرا اخر هف الا نظرت الى المحموم الذي يفعل الطبيعة
في بدنه الذي قلت رطوبته بسبب القاسر حرارة توجب فساده والى الطبيعة الارضية تقتضي يبوستها فظن
لاي شكل كان حتى صارت ممسكة للشكل القسري المنافي لكرويتها الطبيعية ومنعت عن العود اليها
فعروض ذلك الشكل للارضية لكونها مقسورة من وجه مطبوعة من وجه فالانسان عند عروض مثل
هذا المنافي ملتذ متالم سعيد شقي ملتذ ولكن لذته المرو سعيد ولكن سعادته شقاوة وهذا
عجيب ولكنا اوضحناه لك ايضاحا لم يبق معه لك عجب انشاء الله تعالى فمهما سمعت الله عز وجل يذكر
هؤلاء بالبعد والشقاوة فهم اشقياء مبعدون لا شك في ذلك ومهما سمعته عز وجل ينبئ عن خلقه
كله بالحسن والبهاء ويذكر نفسه بالرحمة التي وسعت كل شيء فاعلم انه بالنظر الى تلك الجهة الدقيقة التي
نبهناك عليها ان ذواتهم لو لم تستدع عروض العذاب لم يكن يفعل بهم ذلك فان الله تعالى لا يولي احدا
الا ما تولاه عن علمه ورحمة فاذن يا حبيبي تحت كل سم درياق وقبل كل غضب رحمة وهي الرحمة التي وسعت
كل شيء فخلق الله كل ممكن على ما اختاره لنفسه كما ورد في الكتاب الالهي ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقد ورد في الخبر
في صفة يوم القيمة موقوفا على ابن مسعود ان الله عز وجل ينزل في ظلل من الغمام من العرش الى
الكرسي فينادي مناد يا ايها الناس الم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وامركم ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيئا ان يولي كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا اليس ذلك عدلا
من ربكم قالوا بلى فينطلق كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا قال ويمثل لهم اشباه
ما كانوا يعبدون الحديث بطوله وكما يولون في الاخرة ما تولوا في الدنيا فانما يولون في الدنيا ما
تولوه في السوابق فان كان لك شك في ذلك فاتل قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان الاية لتعلم ان الله عز وجل لا يحمل احدا
قهرا وقسرا بل يعرضه عليه فان تولاه ولاه وان لم يتوله لم يوله وهذا محض الرحمة والعدالة فان قلت

ليس تولية الشئ ما تولاه مثلا عملا بل حيث يكون ذلك التولى عن رشد وبصيرة فان السفيه قد
يختار لنفسه ما هو شر بالنسبة اليه لجهله وسفاهته فلا يكون تولية ذلك السفيه اياه عدلا بل
ظلما وانما العدل والشفقة فى ذلك منعه اياه قلت هذا التولى الذى لا ينافيه ليس تولى شئ
لشئ يعرض من خارج حتى يرد عليه العقل الى الجبر والشر فان ما يختاره السفيه انما يسمى شرا لانه
مناف لذاته فلذاته اقتضاء اوله متعلق بنقيض لك الامر المتولى له فذلك هو الذى اوجب ان
سمينا هذا شرا بالنسبة اليه واما الاقتضاء الاول فلا يمكن وصفه بالشر لانه لم يكن اقتضاء يكون هذا
مخالفه فيوصف بانه شر بل هو الاقتضاء الذى يكون خيرا على اى وجه كان لان الخير ليس الا ما تقتضيه
ذات الشئ والتولى الذى لا ينافيه هو الاستدعاء الذاتى والسوال الوجودى الفطرى الذى يسال
به الذات المطيعة السامعة لقول الله كن الداخلة امتثالا له فى الوجود وقوله كن ليس امر قهر وفيه
لان الله غنى عن العالمين ولا حاجة له فى وجودهم ليجبرهم عليه بل اراذن لانه مسبوق بسوال الوجود
فكانه قال له رب ائذن لى ان ادخل فى عالمك وهو الوجود فقال الله كن اى ادخل حضرتى فقد اذنت
لك كما حكى الله عن عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام من الملكوت الاعلى انى اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله فلولا سبق السوال عن الطير ان تكون له بسم ذلك الاذن ما منع
امر الجليل تبارك اسمه امر قسر وكره فذلك ايقع بضراعة من جوهر المامور واستدعاء فطرى من طبعه
ورحمة من الله ليذيقهم من مكنون لطف الجلال كيف وكما ان لكل جمال جلالا كالهيمان الحاصل من
الجمال الالهى فانه عبارة عن انقهار العقل منه وتحيره فيه كذلك ايقع لكل جلال جمال وهو اللطف المستور
فى القهر الالهى كما قال تعالى ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب وقال امير المومنين على اخيه وعليه السلام
رب العالمين سبحان من اتسعت رحمته لاوليائه فى شدة نقمته واشتدت نقمته لاعدائه فى سعة رحمته
ومن ههنا يعلم سر قوله حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ولعمر الحق لقد انفصل بالسماء
والارض من لذيذ الخطاب فى قوله تعالى ائتيا طوعا او كرها من مشاهدة جمال القهر ما طربت السماء

طربا

طربا رقصها فهى بعد ذلك فى الرقص والنشاط وغشى على الارض لغلبة الوارد فالقيت مطروحة على البساط
فتبين ان لذة القهر هو الذى عبدهما وشاهدة لطف الجلال هى التى سلبت افئدتهما حتى قالا قول
الوامق ذى الحنين ائتينا طائعين فافهم هذا فانه حق تبلى لافهم شريف فيه بحث وتحقيق ربما قال قائل
الممكن قبل وجوده معدوم فكيف يتصف بالسوال ثم بالامتثال والقبول للامر والاطاعة والانقياد للآمر
لان هذه المعانى انما يحصل بما له الوجود وكيف يقاس ما ليس بموجود الى ما له الوجود فيقال له ان
الممكنات قبل وجودها الخارجى موجودة بنحو اخر من الوجود هو الوجود العلمى الالهى لم يزل ولا يزال وان
كانت معدومة بحسب الوجود العينى فان ذات العلة الفياضة نحو من انحاء وجود الامر المفاض اولى واقوى
من وجوده بنفسه كما حققناه فى بعض اسفارنا وكل صفة وجودية يثبت له فى مرتبة لاحقة فهى قد كانت ثابتة
له فى المواطن السابقة عليها فهذه الصفات التى للاشياء ليست من لوازم الوجود الخارجى فقط بل كل صفة كانت
للموجود بما هو موجود يتصف بها الاشياء مالكونها موجودة بالوجود العلمى غاية ما فى الباب ان هذه الصفات
ما يتفاوت ظهوراتها فى الممكنات بحسب تفاصيل الدرجات وتفاوت الاستعدادات كما تتفاوت
لطبقات الاجسام لطافة وكثافة وتحقيق هذا الكلام انه كما ان للعالم بمجموعه ظهورات متعددة بعضها
اجمال وبعضها تفصيل وللتفصيل مراتب وتلك الظهورات بحسب مراتب علمه تعالى بالاشياء او نفس جورات
الممكنات وظهوراتها كما اشير اليه انفا نفس مراتب علمه تعالى بها كذلك كل جزء من اجزاء العالم له ظهور خاص اجمالى
يظهر بحسبه صفاته وكمالاته وشئونه وحيثياته على صورة وحدانية مندمجة بعضها فى بعض وله ظهورات اخرى
تفصيلية فى العوالم كلها يظهر تلك الصفات والحالات بصور متعددة متمايزة بعضها عن بعض حسبما تقتضيه
كل عالم وكل نشأة وكما ان لكل معلول جهتين وجوب غيرى وامكان ذاتى ثابتتين له فى جميع المراتب وانما
فلنسبة الفعل والتكوين والقهر والغلبة والغنى اليه باعتبار الاول ونسبة الانفعال والامتثال والعجز والذل
والافتقار باعتبار الثانى احديهما اثر الجلال والاخرى اثر الجمال وفى كل منهما انطوى الاخر كما مر فلا يضيق
صدرك بما سمعت واحمد ربك على ما فهمت قاعدة شريفة ينتفع بتمهيدها فى مسئلة الجبر والشرور

القضاء والقدر اعلم ان ههنا طريقة اخرى هي طريقة اهل الله في حل الشبهة الناشية في تحقيق الشرور
الكاينة في العالم يتوقف بيانها على تمهيد قاعدة هي انه قد تقرر عند المحصلين من الحكماء والمحققين من العرفاء
ان الجعل والتاثير والافاضة والابداع لا يتعلق بالذات الا بنحو من انحاء الوجود لا المهيات بوجوه عديدة
من البراهين مذكورة في كتابنا المسمى بالاسفار الاربعة فالموجود بالذات سواء كان واجبا غنيا او ممكنا
فقيرا محضا هو الوجود والمعاني الكلية والمهيات العقلية والاوصاف الاعتبارية جميعها انما يكون موجودة بعينها
باعتبار اتحادها مع نحو من انحاء حقيقة الوجود او انتزاعها منه فكما ان للوجود القيومي الواجبي تحققا
بنفسه من دون قيام به بجهة وعروضها له ومع هذا يكون وجوده الاحدي القايم بذاته مصداقا بذاته
لصدق كثير من المعاني الكلية الكمالية وموضوعا بنفسه لحمل طايفة من النعوت العقلية الجلالية هي المسماة
بالاسماء والصفات الالهية بلا انضمام صفة زايدة يصير بسببه محكيا عنه بالمحامد السبحانية والمحاسن الصمدانية
ولا اختلاف حيثيات في ذاته يصير بعض منها منشا الحكم وصفة من الاوصاف وبعض اخر منشا الحكم الاخر
وصفة اخرى ليلزم التركيب في ذاته تعالى عنه علوا كبيرا كذلك لكل مرتبة من مراتب الموجودات الفايقة الذوات
المجعولة الهويات التي هي الحقيقة اشعة واظلال للنور الاحدي القيومي ورشحات وظلال للبحر الصمدي
الديمومي بنفس ذاته وجوهر هويته الصادرة المجعولة مصداق لبعض المعاني الكلية والنعوت العقلية المسماة
عند الحكيم بالمهية وعند اهل الله بالعين الثابتة بلا جعل وتاثير مستانف يتعلق بها بل ثبوتها الكل امر بنفس
الجعل المتعلق بالذات بالهوية الوجودية المتخصصة بنفس ذاته فليس للحق الا افاضة الوجود ثم العقل بضرب
من التحليل والاعتبار يعقل من كل مرتبة من الوجود نعوتا خاصة لا ينفك عنه بحسب الخارج ولا تتخلل بينها
وبينه جعل كامر موجودية المهيات التي هي المعاني المباينة الحقايق باتصافها بنور الوجود حين تفردها
منه واستنارتها به وموجودية الوجودات بصدورها عن الجاعل التام كوقوع الاشعة والاضواء من النيرة
بذاته على الهياكل والقوابل بل بتطوره بالاطوار الوجودية المنسوبة الى المهيات بنحو الانصباغ والانصاف
والاستكمال والى القيوم الجاعل على سبيل القيام به والتجلي منه والفيض والترشح والنزول والتشعشع

والالتماع

والالتماع الى غير ذلك من العبارات التي يمكن التعبير بها عما يليق بتقدسه عن الاشباه وغناه عما سواه
فامكان المهيات الخارجة عن مفهوم الوجود لا ضرورة وجودها وعدمها بالقياس الى ذاتها من حيث
هي هي وامكان الوجودات كونها بذواتها روابط ومرتبطات وبحقايقها تعلقات ومتعلقات بمعنى
ان ذواتها ذوات تعليقية وحقايقها حقايق لمعانية لا استقلال لها ذاتا ووجودا بخلاف المهيات
الكلية والاعيان الثابتة العقلية فانها وان لم يكن لها ثبوت قبل الوجود كما رآه قوم من المتكلمين الا
انها اعيان متصورة بكنهها ما دام وجوداتها ولو في العقل فانها ما لم يتنور بنور الوجود لا يمكن الاشارة
العقلية اليها بانها ليست موجودة ولا معدومة في وقت من الاوقات بل هي باقية على احتجابها الذاتي
وبطونها الاصلي ازلا وابدا وليست حقايقها حقايق تعليقية ليحتاج في كونها هي او شيئا من الذاتيات
واللوازم الى امر فلا تاثير ولا سلطنة للغير في كونها هي ولا في اتصافها بصفاتها الخاصة ومن ههنا نشا
قول المحققين من اهل الله والعرفاء من اولى الكشف واليقين ان المهيات المعبرة عندهم بالاعيان
الثابتة لم تظهر ذواتها ولا تظهر ابدا وانما تظهر احكامها واوصافها ولا شمت ولا تشم رايحة الوجود
اصلا وموجوديتها بانتسابها الى الوجود من غير قيام وعروض كاتصاف موجود بموجود اذ لا وجود لها
بالذات ولا ظهور لها بالحقيقة بل انما الظهور للوجود لان الوجود نور يظهر به المهيات المظلمة الذوات
على البصاير والعقول كما يظهر بالنور المحسوس الاشجار والاحجار وساير الاشخاص الكثيفة المظلمة الذوات
المحجوبة الاعيان لذواتها عن شهود الابصار والاعيان ثم انه كما ان كل وجود خاص بحسب ذاته مظهر لمهية
خاصة به فالوجود الخاص الواجبي مظهر يظهر به جميع المعاني الكلية والجزئية فهو بحسب ذاته نور محض
يدرك به الاشياء كلها متجل بذاته لذاته بنعوته الكمالية واسمائه الحسنى وصفاته العليا فذاته بذاته ظاهر
لذاته مظهر لغيره وصور لسموات الغيوب والارواح واراضي الاجسام والاشباح بحسب شئونه وتجلياته
في مراتبه الالهية ولو بحسب شئونه ومراتبه اسماء وصفات حقيقية كانت او اضافية او سلبية ولكل
منها نوع من المظاهر الوجودية والمرائي التعينية ولما كان ذاته بذاته مصداقا للصفات متعددة

منكثرة ولاشك انها معان معقولة في عين الوجود الحق يعقل عنها معان اخرى معقولة مسماة بالاعيان الثابتة
مبدا انتزاعها ومعقولتيها هي تلك الاسماء يتعين بها شؤون الحق وتجلياته وليست بموجودات عينية ولا
تدخل في الوجود اصلا بل الداخل في الوجود بالذات وجوداتها التي هي اشعة واضواء وتجليات خارجية للحق
الحق الالهي وعلمه بتفاصيل تلك الاعيان مندرج في علمه بوجود ذاته الذي هو عين ذاته لان العلم بذاته
متضمن للعلم بكمالات ذاته المستلزم للعلم بحقايق الاشياء ومهياتها كما هي ثم ان المحبة الالهية والجود
الرباني اقتضت ظهور الذات المتشئنة بتلك الشؤونات الثابتة في حضرة العلمية بلا جعل وتاثير
فافادت الوجودات الخاصة التي هي انوار واشعة يظهر بكل منها اثر من اثار قدرته فالجعل يتعلق اولا
وبالذات بنحو من انحاء الوجود ثم هو بذاته مصداق لحكم خاص هو مهية وعينه الثابتة وبنفسه مستلزمة
لنعوت خاصة هي لوازم مهيته من دون تعلق الجعل المتعلق بالوجود بها ولا كونها مجعولة بجعل جديد
بل موجوديتها بعين افاضة الوجود في المنسوب اليها فالمفاض هو الوجود والمهية متحدة معها من دون
تعلق جعل جاعل بها ومن غير تاثير فاعل في ايجادها ولا في اتحادها بالوجود الخاص بها وانتزاعها منه
وصدقها عليه فكما ان الله تعالى يعلم ذاته وصفاته بنفس ذاته ويعلم الاعيان الثابتة التي هي المهيات
بعين ما يعلم ذاته من غير تاثير واقتضاء فيها فكذلك يستتبع ذاته الفياضة وجودات الاشياء التي هي
جذوات الهية ونعماء سبحانية لا مهياتها ولوازمها وكما لا يعلم من ذاته وصفاته الا ما تعطيه الذات والصفات
ما هي عليها بلا اقتضاء مقتض وتاثير موثر كذلك لا يعلم من المهيات والاعيان الا ما تعطيه هي بنفسها
ما هي عليها وبهذا المعنى قيل ان علم الله تعالى تابع للمعلوم وان كان المعلوم تابعا للعلم من وجه اخر فقد
ثبت وتحقق من ارائهم الكشفية العرفانية واصولهم الذوقية المشاهدية بسبب رياضاتهم ومجاهداتهم
وارصادهم المبتنية عليها ان الصادر عن الحق الاول والفايض عن علة العلل عقلا كان او نفسا او
طبعا او جسما بسيطا او مركبا ليس الا نحو من انحاء الوجودات وطورا من اطوار الانيات المعبر عنها عندهم
بالتجليات الالهية وعند الاشراقيين بالاضواء والاشعة القيومية وعند طائفة اخرى بالكلمات الوجودية

وفاقا لقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
ولا شك ان الوجودات خيرات محضة لان الوجود من حيث هو وجود لا يكون شرا والشر انما يلحق المهيات
لقصورها وعدم بلوغها الكمال اللايق بها او مصحوبيتها الاعدام والقوى والملكات وهذه جملتها معان
عدمية لازمة لبعض المهيات منبعها الامكان الذاتي او الاستعدادي والمهية قد مر انها غير مجعولة
لا بالجعل المركب ولا بالجعل البسيط ايضا فالصادر عن الحق خير والشر غير صادر اصلا انه صادر عن غيره
فالحق سبحانه برحمته الجامعة الواسعة لكل شيء وجودا وعلما رحم الاعيان الطالبة للوجود ولوازمها
واحكامها فاوجدها في العين اخيرا كما اوجدها في العلم اولا فالرحمة سابقة على كل شيء ومحيطة بها كما قال
رحمتي وسعت كل شيء فالوجود عين الرحمة الشاملة للجميع وكذا القابلية له ووجود الغضب ايضا من
رحمة الله لانه ايضا من المهيات القابلة للوجود ولاستلزامه للمصالح والحكم المترتبة عليه وعلى ما يستتبعه
من الالام والاسقام والبلايا والمحن وامثالها ما لا يلايم الطبايع فوسعت الرحمة لها كما وسعت لغيرها
فالخير والرحمة ذاتيان للحق تعالى والشر والغضب ناشئان من عدم قابلية بعض الاشياء للكمال المطلق
والرحمة التامة فليس شقاوة وشرا واليه الاشارة بقوله عم الخير كله بيديك والشر ليس اليك فتبين و
تحقق ان الفايض عن الحق الاول وجود كل مهية وظهور كل شيء والنقايص والقصورات من لوازم
بعض المهيات وليست مجعولة وكتب المحققين من العرفاء والمتالهين من الحكماء مشحونة بذكر ما ادعاه و
ترصيصه وتقويمه على اتم وجه واوضحه قال الشيخ محي الدين بن عربي نور الله قلبه في الفص الابراهيمي من فصوص
الحكم بعد ان تلى هذه الاية وما منا الا له مقام معلوم بهذه العبارة وهو ما كنت في ثبوتك ظهرت به في وجودك
فليس للحق الا افاضة الوجود عليك والحكم عليك لك فلا تحمد الا نفسك ولا تذم الا نفسك وما
يبقى للحق الا حمد افاضة الوجود لان ذلك له لا لك وقال في الفص اليعقوبي فلا يعود على الممكنات من الحق الا ما
تعطيه ذواتهم في احوالها فان لهم في كل حال صورة فتختلف صورهم لاختلاف احوالهم فيختلف التجلي لاختلاف
الحال فيقع الاثر في العبد بحسب ما يكون فما اعطاه الخير سواه ولا اعطاه ضد الخير غيره بل هو منعم ذاته

ومعذبها فلا بد من الانفس ولا يجدن الا انفسهم فلله الحجة البالغة في علمه بهم اذ العلم يتبع المعلوم وقال
في الفص اللوطي ان العلم تابع للمعلوم فمن كان مؤمنا في ثبوت عينه وحال عدمه ظهر بتلك في حال وجوده
فقد علم الله ذلك منه انه هكذا ولذلك قال وهو اعلم بالمهتدين فلما قال مثل هذا قال ايضا ما يبدل القول
لدي وما انا بظلام للعبيد اي ما قدرنا عليهم الكفر الذي يشقيهم ثم طلبناهم بما ليس في وسعهم ان يأتوا به بل
ما عاملناهم الا بما علمناهم وما علمناهم الا بما اعطونا من نفوسهم مما هم عليه فان كان ظلما فهم الظالمون
ولذلك قال ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقال ايضا في الفص الابراهيمي بعد الكلام المنقول آنفا فان قلت فما
فائدة قوله ولو شاء لهداكم اجمعين قلنا لو حرف امتناع لامتناع فما شاء الا ما هو الامر عليه ولكن عين
الممكن قابل للشيء ونقيضه في حكم دليل العقل واي الحكمين المعقولين وقع ذلك هو الذي عليه الممكن في حال
ثبوته فمشيته احدية التعلق وهي نسبة تابعة للعلم والعلم نسبة تابعة للمعلوم والمعلوم انت واحوالك فليس
للعلم اثر في المعلوم بل للمعلوم اثر في العالم فيعطيه من نفسه ما هو عليه في عينه وقال الشارح كلام العلامة
القيصري في شرح هذا الكلام انما اورد السوال ليبين سر القدر في الجواب والسوال انه لما كان الحاكم
علينا اعياننا وليس للحق الا افاضة الوجود على حسب مقتضى الاعيان فما فائدة قوله ولو شاء لهداكم
اجمعين وجوابه ان لو حرف امتناع الشيء لامتناع غيره ولما كانت الاعيان متفاوتة الاستعداد بعضها
قابلة للهداية وبعضها غير قابلة لها امتنع حصول الهداية للجميع يعني قوله ولو شاء لهداكم اجمعين انه لم يشا
لامتناع حصول الهداية للجميع فما تعلقت المشية الا بما هو الامر عليه فعدم المشية معلل بعدم اعطاء اعيانهم
هداية الجميع وذلك لان المشية والارادة نسبتان تابعتان للعلم اذ المشية يطلب المشاء والارادة المراد
وهما لا بد وان يكونا معلومين والعلم في حضرة الاسماء والصفات من وجه تابع للمعلوم من حيث كونه نسبة
طالبة للمنتسبين كما مر تقريره وتحقيقه وما يوجد الحق الا بحسب استعداد القوابل لا غير فما يقع في الوجود الا
ما اعطته الاعيان والعين ما تعطي الا مقتضى ذاتها ولا تقتضي الذات شيئا ونقيضه وان كان العقل يحكم
على ان الممكن قابل للشيء ونقيضه لاتصافه بالامكان المقتضي لتساوي الطرفين طرفي الوجود والعدم لكن

الواقف

الواقف على سر القدر يعلم ان الواقع هو الذي يقتضيه ذات الشيء فقط والاعيان ليست مجعولة بجعل
الجاعل ليتوجه الايراد بان يقال لم جعل عين المهتدي مقتضية للاهتداء وعين الضال مقتضية للضلال
كما لا يتوجه الايراد بان يقال لم جعل عين الكلب نجس العين وعين الانسان انسانا طاهرا بل الاعيان صور
الاسماء الالهية ومظاهرها في العلم بل عين الاسماء والصفات القائمة بالذات القديمة بل هي عين الذات من
حيث الحقيقة فهي باقية ازلا وابدا لا يتعلق الجعل والايجاد عليها كما لا يتطرق الفناء والعدم اليها وهذا
غاية التخلص عن هذه المضايق والله اعلم باسرار الحقائق انتهى قوله والحق لا يخفى ونافذ هذا المسلك
ود قيقه وشرفه وان كان فيه بحسب جليل النظر ما يخالف ظاهر القوانين النظرية من الحكمة الفلسفية لكنه
بحسب النظر الدقيق روحها الظاهرة من انوار الشريعة النبوية العالمية بمراتب الوجود ولوازمها على ما هي عليه
ولا يرد عليه ما يرد على القول بثبوت المعدومات كما يراه المعتزلة فان انفكاك المهيات عن انحاء الوجودات
باسرها مما يصادم العقل الصريح والبرهان الصحيح وقد اسلفنا لك ان الوجود نور يظهر المهيات على
ما هي عليها على النحو الذي قد بيناه من كونها متصفة بالثبوت بالعرض لا بالذات وكان لكل من الموجودات
الخاصة والهويات الجزئية معاني انتزاعية ومفهومات عقلية ينتزع منه بحسب ذاته ويحكم بها عليه في
مرتبة هويته من دون جعل وتاثير فكذا الوجود الصرف الالهي مبدا للاحكام الالهية ومظهر للنعوت الجلالية
التي هي المسماة بالاسماء والصفات وهي مظاهر لمعان اخرى مسماة بالاعيان الثابتة وليس بناء هذا الكلام
على ثبوت المعدومات وانفكاك الشيئية عن الوجود او على الفرق بين الثبوت والوجود كما زعمه المعتزلة بل
بناؤه على الفرق بين ما يكون بالذات وما يكون بالعرض فان الذات الواجبية الاحدية لها صفات متعددة
متميزة في المعنى والمفهوم لا في الوجود لانها عين ذاته بمعنى كون وجود واحد مقدس عن شائبة الكثرة والتفصيل
والقسمة والتحليل بذاته مظهرا لتلك الصفات وبحيثيته منشأ لها فهو قادر بنفس ذاته وعالم بعلم هو نفس
ذاته المنكشفة ومريد بارادة هي عين ذاته ولكل صفة من صفاته الاصلية التي هي الائمة السبعة في عرف اهل
الله فروع ومعاليل لكونه حكيما عفوا غفورا خالقا رازقا مبديا معيدا منشئا وامثالها فانها من فروع كونه

قادرا على جميع الممكنات ومثل كونه سميعا بصيرا مدركا خبيرا لطيفا وغيرها مما يتشعب من كونه عالما بجميع المعلومات
الى غير ذلك من الاسماء والصفات الغير المتناهية الحاصلة من تراكيب هذه الاسماء ثنائيا وثلاثيا وكل من
هذه الاسماء يستدعى مظاهر متباينة بها يظهر اثر ذلك الاسم والصفة فيوجب كل صفة تعلق ارادته وقدرته
الى ايجاد مخلوق يدل على ذلك الاسم بل على الذات الموصوفة بالصفة المعينة والمتجلية بالتجلى الخاص لانها المراد
عندهم بالاسم وهذه الاسماء الملفوظة هى اسماء الاسماء ولهذا اختلفوا فى كون الاسم عين المسمى او غيره فكل من
الموجودات مظهر لاسم خاص الهى فلذلك اقتضت رحمة البارى ايجاد المخلوقات كلها ليكون مظاهر لاسمائه الحسنى
ومجالى لصفاته العليا مثلا لما كان قهارا اوجد المظاهر القهرية التى لا يترتب عليها الا اثر القهر من الجحيم وما فيها من كنيسة
والزقوم وما يناسبه ولما كان عفوا غفورا اوجد مجالى العفو والغفران يظهر فيها اثار رحمته وقس على هذا او اعتبره
من نفسك فاعرف ان كل ما يصدر عنك من الاقوال والافعال والحركات والسكنات والافكار والتخيلات
هى مظاهر لما كمن فى ذاتك ومجالى لما اختفى من صفاتك واسمائك فانك اذا احببت واحدا او واليته عشك
المحبة الى ان يظهر منك ما يدل على محبتك اياه من المدح والتعظيم والبسط والتكريم ولو لم تكن احببته لما
ظهر منك ما ظهر واذا عاديت احدا ظهر منك قول او فعل دال على معاداتك من الشتم والضرب والذم وتمنى
زوال روحه وتشتهى نكاله فهذه الاثار مظاهر ومجالى لما طوى فى ذاتك من العداوة وقس على ذلك امثاله وهذه
الاسماء والصفات وان كانت متحدة مع الوجود الغيبى والذات الواجبية بحسب الوجود والانية فهى متغايرة
بحسب المفهوم والذهن وهذا التغاير بسبب تضاد الموجودات وتعاند المكونات ولها خصوصية مع مظاهرها
بها ظهورها من تلك المظاهر من العدم الصرف والبطون المحض هذا ما ذكره بعض المحققين وحاصله ان الكيفية
علمه تعالى بالممكنات وهو بعينه مذهب العرفاء والصوفية فى علم الله من انه اذا علم الله ذاته المقدسة بجميع الصفات
والاسماء المتحدة معه فى الوجود والهوية علم مظاهر تلك الصفات علما بسيطا بحسب الخارج مفصلا بحسب الاعيان
من غير ان يقتضى هذا العلم وجود المعلوم ويحقق الخارج وفوق هذا طور اخر مذكور فى صحفنا واسفارنا
وغرضنا فى هذا المقام دفع مفسدة الترود الواقعة والانات ونفى استنادها الى خالق الهويات وجاعل الانيات

لكونها

لكونها لوازم للمهيات من دون تعلق وتاثير وجعل بها على ما قرع سمعك بفضل الله وحسن رحمته وتاييده وبديع تسديده

الفصل الخامس فى كيفية الافعال الواقعة منا بالاختيار وكون الانسان مضطرا فى عين الاختيار لما
تحقق من قبل ان كل ما يوجد فى هذا العالم من الافعال والاثار فقد وجد بهيئته وزمانه فى عالم اخر فوق هذا
العالم قبل وجوده وان مبدا الكل لو لم يكن قادرا على جميع الممكنات او خرج شئ من الاشياء عن مصلحته وعلمه
وقدرته وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح لمبدائية الكل فلقائل ان يقول لو كان الهداية والضلالة
والايمان والكفر والطغيان والخير والشر والنفع والضر وساير المتقابلات كلها منتهية الى قدرته وتاثيره
وعلمه وارادته فما معنى الاختيار فينا للافعال والاثار بل يجب ان يكون جميعها حاصلة منا بالاضطرار
مع انا نجد الفرق بين المضطر والمختار على انه لو كان للعبد اختيار يلزم التناقض اى اتصاف الجبر والاختيار
فى فعل واحد لان اقتداره فى فعله يوجب الاختيار وكون الواجب تعالى فاعلا مطلقا فى كل شئ بالارادة يوجب
الجبر ولهذا زعم فخر الدين الرازى ان اثبات الاله يلجئ الى القول بالجبر لان الفاعلية لو لم يتوقف على الداعية
لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفى الصانع واثبات الرسول يؤدى الى القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد
على الفعل فاى فايدة فى بعث الرسول وانزال الكتب وايضا نقول لما راجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا
ان ما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الاخر الا بالمرجح وهذا يقتضى الجبر والاضطرار
ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات ونحوها نعم ونقدسه عن النقايص
وايجاد القبايح والظلم والكذب يوجب الاختيار فى العبد ونفى الشريك عنه فى ايجاد الاشياء يوجب الجبر
فنجيب عن ذلك كله بعد تمهيد معنى القدرة والارادة فنقول اما القدرة حتى فينا فالزعفانية مصححة للفعل
وعدمه قوة على الشئ وضده وتعلقها بالطرفين على السواء وانما يؤثر مع تحقق العلم بالفايدة والارادة فلا
تكون فينا تامة بل القدرة فينا هى بعينها القوة وفى الواجب تعالى تمامه وكماله هى الفعل فقط اذ لا جهة امكانية
هناك وليست ايضا قدرته منحصرة بحسب احدى المقولات بل هى كون ذاته تعالى بحيث يصدر عنه الموجودات
لاجل علمه بنظام الخير فى الكل الذى هو عين ذاته ومتى كان الفاعل بحيث يتعلق فعله بمشيته وعلمه كان

قادرا من غيران يعتبر معه شي اخر من مجرد اغراض او اختلاف دواع او تفنن ارادات او سنوح حالات الى غير ذلك
ما يليق بجناب القدس وساحة الجبروت والجمهور من الناس لغفلتهم عن لزوم النقص من هذه المعاني زعمون
ان القدرة لا يتحقق الا مع تغير المشية ومجرد الارادة واما ما من شانه ان يفعل دايما فلا يسمونه قادرا والحق
ان الذي يفعل دايما ان كان فعله يصدر عنه بتغير مشيته ورضاه فليست له قدرة على ذلك وان كان يفعل
بمشيته الا ان مشيته لا تتغير اتفاقا او يستحيل تغيرها استحالة ذاتية فهو يفعل بالقدرة والتغير في المشية
لا مدخل له في معنى القدرة والقادر من اذا شاء فعل وان لم يشا لم يفعل سواء شاء ففعل دايما او لم يشا
فلم يفعل دايما والشرطية غير متعلقة الصدق بصدق كل من طرفيها بل كثيرا ما يصدق مع كذب احد طرفيها او
كليهما واما الارادة فهي فينا شوق متاكد وعزم مصمم باعث على الفعل او الترك حاصل عقيب داع هو تصور
الشي الملايم تصورا ظنيا او تخيليا او علميا فانا اذا ادركنا شيئا فان وجدنا ملايمة او منافرة لنا اذعنه
بالوهم او بتميز العقل انبعث منا شوق الى جذبه او دفعه وتاكد هذا الشوق بعينه هو العزم الجازم المسمى
بالارادة واذا انضمت الى القدرة التي هي هيئة للقوة الفاعلة انبعثت تلك القوة لتحريك الاعضاء الادوية
من العضلات وغيرها فيحصل الفعل والارادة في الواجب لبراءته عن الكثرة والنقص ولتمامه وكونه فوق
التمام ليست كذلك بل يكون عين الداعي وهو علمه بنظام الخير المقتضي له فانه هو الفاعل والغاية في صدور
الاشياء فاذا تمهد ما ذكرناه فنشرع في الجواب والله الهادي الى طريق الصواب اما قول القائل ان افعالنا
اذا كانت بقضاء الله وقدرته فيجب صدورها منا فنقول لغم ولكن بتوسط اسباب وعلل من الادراكات
والارادات الانسانية والحركات والسكنات الحيوانية وغيرها من الاسباب العالية الغايبة عن علمنا و
تدبيرنا الخارجة عن قدرتنا وتاثيرنا فاجتماع تلك الامور التي هي الاسباب والروابط مع ارتفاع الموانع علة
تامة يجب عندها وجود ذلك الامر المدبر والمقضي المقدر وعند تخلف شي منها او حصول مانع بقي وجوده
في حيز الامتناع ويكون ممكنا وقوعيا بالقياس الى كل واحد من الاسباب الكونية فاذا كان من جملة الاسباب
وخصوصا القريبة منها وجود هذا الشخص الانساني او الحيواني وادراكه وعلمه وارادته وتفكره وتخيله اللذات

مختار

مختار بهما احد طرفي الفعل والترك كان ذلك الفعل اختياريا واجبا وقوعه بجميع تلك الامور والاحوال الا انها
على تامة ممكنا بالنسبة الى كل واحد منها فوجوبه لا ينافي امكانه واضطراريته لا تدافع كونه اختياريا كيف وانه
ما وجب الا بالاختيار ولا شك ان القدرة والاختيار كسائر الاسباب من الادراك والعلم والارادة والتفكر
والتخيل وقواها والاتها كلها بفعل الله تعالى لا بفعلنا واختيارنا والا تسلسلت القدر والارادات الى غير
النهاية او دارت فان قلت ما ذكرتم من وجوب تحقق الحوادث بالاسباب السابقة والوسايط التي هي
مسخرات لامر الله وكلمته يجري الا في افاعيل الانسان وحركاته فانه يتحرك ان شاء ويسكن فكل منهما يصح و
مقابله ايضا فكيف يكون الانسان مسخرا في صدور فعله عنه واجبا وقوعه منه قلت ان الانسان وان كان
بحيث ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل لكنه ليس بحيث ان شاء شاء وان لم يشا لم يشا بل اذا شاء فلم يتعلق
مشيته بمشيته بل بغير مشيته فليست المشية اليه اذ لو كانت اليه لاحتاجت الى مشية اخرى وتسلسل الامر
الى غير النهاية ومع قطع النظر عن استحالة التسلسل نقول جملة مشيات الغير المتناهية بحيث لا يشذ عنها
مشية لا يخلو اما ان يكون وقوعها بسبب له خارج عن مشيته هذا العبد او بسبب مشيته والثاني باطل
لعدم امكان مشية اخرى خارجة عن تلك الجملة والاول هو مطلوبنا فقد ظهر ان مشية العبد ليست بحت
قدرة العبد فاذا كان في مشيته مضطرا واذا وجدت المشية التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت
القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام
المشية ترتب بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع وجود شي منها عند تحقق سابقه فليس يمكن له ان يدفع
المشية عند تحقق الداعي للفعل ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها فهو المضطر في الجميع فان قلت هذا
جبر محض ذهبت اليه الاشاعرة وانت تنكره وتثبت الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا قلت لو انكشف لك
الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فاذن مجبور على الاختيار فان قلت هل تقول ان العلم الداعي
للمقدور وهو تصوره وجزم الجبر بوجهه موجب للارادة والارادة موجبة للقدرة والقدرة موجبة للفعل وان كل
متاخر حدث من المتقدم كما يقول القايلون بالتوليد فان ذهبت الى ذلك يلزمه ان لا يحدث بعض

الاشياء بقدرة الله تعالى وان ابيتم فما معنى ترتب بعض من هذه الامور على بعض قلت ان القول بان بعض
الاشياء حدث من دون القدرة الازلية جهل محض سواء عبر بالتوليد او بغيره بل جواز الترجيح ذلك على
المعنى الذي يعبر عنه بقضاء الله وقدره لا بالمعنى الذي يقول الاشعري لابطاله معنى الترتب والتوقف
في الاشياء وتقدم بعض الاشياء على بعض واحتياج بعضها الى الاخر بالمعنى الذي ذكرناه وهو الاصل
الذي لم يقف عليه كافة الخلق ولم يهتد اليه الا الراسخون فانهم لشدة صفاء اذهانهم ولطف عقولهم
وقفوا على لب معناه والجمهور اطلعوا على مجرد لفظه مع متشابهه وقسته الى قدرتنا وهو بعيد عما هو الغرض
عند اولي الالباب وبيان ذلك مما يطول شرحه لكن القدر اللائق بهذا الكتاب ان بعض المقدورات مترتبة
على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الازلية والقضاء الالهي ارادة حادثة
الا بعد علم ولا علم الا بعد حيوة ولا حيوة الا بعد محل الحيوة وكما لا يجوز ان يقال حصل الحيوة من دون الجسم
الذي هو شرط الحيوة فكذلك في ساير مراتب الترتب ودرجات التوقف ولكن بعض الشروط مما قد ظهر للعامة
وبعضها لم يظهر الا للخواص الكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم
فكذلك جميع افعال الله ولولا ذلك بل يكون جميع الحوادث مستندة الى الله بلا توقف واحتياج بعضها الى بعض و
بعضها على بعض كما يقول الاشاعرة لكان التقديم والتاخير عبثا يضاهي فعل المجانين والسفهاء تعالى عن قول
الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشار الله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين بل لا يسبق
سابق الا بالحق ولا يلحق لاحق الا بالحق كما في قوله تعالى ما خلقناهما الا بالحق فكلما في عالم الامكان حادث
على ترتيب واجب وحق واجب لا يتصور ان لا يكون كما يكون وعلى الوجه الذي يكون فما تاخر متاخر الا
لانتظار شرطه ووقوع المشروط قبل وقوع الشرط ممتنع والحكم لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتخلف العلم عن
النطفة الا لفقد شرط النطفة وهي الحيوة ولا الارادة عن العلم الا لفقد شرطها وهو العلم ولا الفعل عن
القدرة الا لفقد شرطها وهي الارادة وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الواجب ليس شيء من
ذلك بسبب واتفاق بل كله بالحكمة وتدبير وتفهيم ذلك على العوام وعلمائهم عسير فان من نظر الى الاسباب

القريبة

القريبة للفعل وراها مستقلة قال بالقدر والتفويض اي يكون افعالنا واقعة بقدرتنا فقط وبتقديرنا
مفوضة الينا واليه اشاره بقوله القدرية مجوس هذه الامة لانها تثبت مبداين قادرين مستقلين كالمجوس
القائلين بمبداين احدهما مبدا الخير وهو يزدان والثاني مبدا الشر وهو اهرمن كما قيل چنان كان كه
يزدان واهرمن كفت مرابن نادان والبرماوس كفت ومن نظر الى السبب الاول وقطع النظر عن
الاسباب القريبة حكم قال بالجبر وخلق الافعال ولم يفرق بين افعال الانسان وافعال الجمادات وكلاهما
اعور كالدجال لا يبصر الا باحدى عينيه اما القدرية فبالعين اليمنى اي النظر الاقوى الذي به يدرك الحقايق
والاسباب القصوى للاشياء واما الجبرية فبالعين اليسرى اي الاضعف الذي به يدرك الظواهر والاسباب القريبة
واما من نظر حق النظر فقلبه ذو عينين يبصر الحق باليمنى فيضيف الافعال خيرها وشرها اليه ويبصر الخلق
باليسرى فيثبت تاثيرهم في الافعال لا بجهة الاستقلال ويتحقق بمعنى قول الصادق ع لا جبر ولا تفويض
بل امر بين الامرين فمذهب ذلك هو الفوز الكبير فقد تحقق وتبين ان كل ما يصدر عنا من الحركات والسكنات
والحسنات والسيئات محفوظة مكتوبة في عالم الامر قبل وجودنا وارادة علينا من خارج واجب صدورها
عنا مع كونها بارادتنا واختيارنا كما قال تعالى كل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ولما سئل عن
الرسول ع العمل في امر فرغ منه او امر مستانف قال في امر فرغ منه وفي امر مستانف ومن الحكايات
في هذا الباب ان الفضل بن سهل سال علي بن موسى ع بين يدي المامون فقال يا ابا الحسن الخلق مجبورون
فقال الله تعالى اعدل من ان يجبر عبده ثم يعذبه قال فمطلقون قال الله احكم من ان يهمل عبده ويكله الى
نفسه والشواهد في هذا الباب من الكتاب والسنة كثيرة ولاجل هذا التطابق بين الجبر والتفويض
والجواز والامكان والوجوب والتوفيق بين الامرين نسب الله تعالى الافعال في القران مرة الى الملائكة ومرة
الى العباد ومرة الى نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال الله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها وقال تعالى في نفخ الروح فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها
من روحنا وقال ع النافخ جبرئيل وقال تعالى في القتل قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل الى العباد

والتعذيب الى نفسه والتعذيب عين القتل بهما وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال في الرمي وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن المعنى وما رميت بالمعنى الذي يكون العبد راميا ورمي بالمعنى الذي يكون الرب راميا اذ هما معنيان مختلفان وكلما ذكر الله الادلة والايات في الارض والسموات ثم قال او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه ودليلنا فقولنا نطرق الاستدلال مختلف فكم من طالب عرف ذاته تعالى بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف ذاته بذاته وعرف بالنظر اليه كل الموجودات كما في طريقة الصديقين الذين ينظرون به الى الاشياء لا بالاشياء اليه وقال بعض العرفاء عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وكلما من اضاف الكل الى الله مع المحافظة على وحدة ذاته مع كثرة اثاره وافعاله فهو المحقق الداعي عرف الحق والحقيقة اهلها وما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا قاصد فيه رسول الله صلعم فقال بيت اصدق ما قاله الشاعر قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل اي كل شيء ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بعينه فاذا لا حق بالحقيقة الا القيوم الحق الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل واما فائدة بعثة الرسول وانزال الكتب ففي غاية السطوع والانارة بعد المحافظة على كيفية عناية الله تعالى بالخلق وانه لا علة لفعله سوى ذاته تعالى باعتبار علمه بالاصلح الذي هو عين ذاته مع ترتب الجزاء والمنافع والمصالح عليه لانا نقول ثمرة بعثة الرسل وغاية انزال الكتب هداية الخلق وسلوكهم الى طريق الحق وتبعيدهم عن الغي والضلال والعمى والحرمان والتكبر والطغيان كما ان الحكمة في خلق الشمس مع كونها صادرة فائضة من محض الجود والكرم انارة ظاهر الارض وانبعاث الحرارة الغريزية في الكائنات الموجبة للنشو والحيوة غاية ما في الباب ان يقال اذا علم الله تعالى ان الكافر لا يؤمن فلم يامره بالايمان ويبعث الله النبي المنذر بالبيان فيجاب بان الغاية الذاتية في بعث الانبياء وانزال الكتب من السماء بالحقيقة يرجع الى المؤمنين الذين جعل الله بعثها وانزالها سببا ووسيلة لاهتدائهم ايمانا منذرين مخشيها كما ان فائدة ضوء الشمس يعود الى اصحاب العيون الصحاح واما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم فكفائدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمه

بل الى

بل الى الاخفش واما فائدة ذلك بالنسبة الى المحرومين الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا فيكون ذلك تبعا عليهم بانهم في اصل الخلقة ناقصون اشقياء واما مبحث التفرقة الضرورية بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة فنقول لا ريب ان للانسان ارادات والقوى مستندة الى الله فكانه لا اختيار استقلاليا والتفرقة المذكورة هي ان في الرعشة نقصت واسطة هي الداعية الداخلة في سلسلة اسباب افاعيل المختارين وفي الحركة الاختيارية زادت واسطة واما كيفية تنزهه عن الظلم والقبايح فنقول قد اشرنا في الفصل الماضي ان لله تعالى صفات واسماء متقابلة ولها مظاهر في غيب غيوبه هي المسماة بالاعيان الثابتة والمهيات وهي غير مجعولة والمجعول وجودها في الخارج وظهورها في الاعيان فالقابض عن الحق وجود الاشياء وتجليها وظهور المهيات واستنارتها والله نور السموات والارض وقيامها او من الواجب ان يكون من جملة صفات الملك وخصوصا ملك الملوك صفتا اللطف والقهر لانهما من اوصاف الكمال ونعوت الجلال ولا بد لكل من الوصفين من مظهر كامل فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار واهل الجنة مظاهر اللطف والشياطين ومن والاهم من الاشرار واهل النار مظاهر القهر وههنا انظهر حقيقة السعادة والشقاوة فمنهم شقي وسعيد الاية واذا توسل فيما ذكرنا ظهر انه لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبايح الى الله تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والايجاد والنقايص والقصور والافات من المهيات كما يشهد به العقل ولا سيما عند القائل بالحسن والقبح العقليين قال بعض المحققين ليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيرا قريبا وبعضهم كناسا بعيدا لان كلا منهما من ضرورات ملكه وينسب الظلم الى الله تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص به مع ان كلا منهما ضروري في مقامه فهذا القائل يهدم بناء حكمته ويدعي انه يحفظ فافسد حين اصلح فقد ثبت وتبين ان وقوع فريق في طريق اللطف ووقوع فريق في طريق القهر من ضروريات الوجود والايجاد ومن مقتضيات الحكمة والعدالة فكان حسنا

ومن توهم انه قبيح كان الخلل في عقله وقصور في فهمه فلا قبيح الا وهو حسن من جهات اخرى لا يعلمها الا منشئها وموجدها واما العتاب الذي هو البعد من رحمة الله تعالى فهو لازم للكفر والمعصية واللزوم لا ينفك من اللازم

الفصل السادس في فائدة الطاعات وتاثير الدعاء في انجاح المهمات اعلم ان بعض الناس يظن ان الطاعات والدعوات امور خالية عن الفائدة لان ما يفعل لاجله الطاعة ويدعى فيه ان كان قد ثبت في القضاء السابق فانه كائن لا محالة دعا ولم يدع فعل لاجله الطاعة والعبادة او لم يفعل وهذا ظن جاهل ساه لا يعرف الحقائق من مواضعها فان الدعاء ما يقاوم القضاء الا من حيث انه فعل العبد فانه من هذه الحيثية ما يحكم فيه القضاء لانه لو لم يقض عليه ان يدعو لم يكن له ان يدعو بل من حيث ان البارئ تعالى جعل الدعاء من جملة اسباب ذلك الشيء المدعو على حسب ما قدر وقضى لربط وموافاة بين الدعاء والامر المدعو كما جعل في القضاء الالهي شرب الدواء سببا لحصول الصحة في هذا المريض فالدعاء وحدوث الامر المدعو لاجله كلاهما ينبعثان من القضاء فلا يتوهمن ان العالم الالهي ينفعل عن دعائنا ويتاثر من ضراعتنا كيف والعلة لا يتاثر عن المعلول والمعلول لا ينفعل في العلة البتة بل العبد ما دعا بنفسه ولكن بامر الله عز وجل امرا اذنا عقليا وحكما قوليا سمعيا اما الاول فلاستناد جميع الاشياء التي من جملتها دعاء الشخص الداعي وما يدعو لاجله وربطهما في ذواتها ووجوداتها اليه تعالى وكما ان الاشياء الداخلة في وجود الانسان كالعلم والقدرة والارادة من جملة اسباب الفعل فاحدس ان الامور الخارجة ايضا كذلك فالدعوات ما جعلها الله تعالى دواعي الى الخيرات ومهيجات الى الاشواق وكذا السعي والجد والتدبير والحذر اذا قدرت مهيئة لمطالبنا موصلة ايانا الى مقاصدنا مخرجة لكمالاتنا من القوة الى الفعل وجعلت اسبابا لما يصل الينا من ارزاقنا وما قدر لنا من معايشنا ومعادنا لم يحصل لنا ذلك الا بها واما الثاني فحيث ان الله عز وجل علمنا وامرنا به وحثنا عليه في قوله ادعوني استجب لكم فالدعاء وما يستجاب كلاهما من امر الله تعالى ولسان العبد ترجمان الدعاء وكل من فعل شيئا بامر احد فيده يد الامر كامر الملك بعض خدامه ليضرب ابنه فان يد الخادم في الضرب يد الملك ولو كان اليد بيده لم يستطع ان يمدها الى ابن

الملك

الملك ويثبت ذلك بيده وبهذا يظهر لك فساد ظن من قال من الحشوية والظاهرية ان المقتضى بالدعاء ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه وكان اجل مقامات الصديقين الرضا بالقضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء ينافي ذلك **وهم وازاحة** وربما توهم ان الدعاء يشبه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب ويؤكد هذا الوهم ما قاله الشبلي الانبساط بالقول مع الحق ترك الادب وذلك فاسد كيف وقد امر الله تعالى عباده بالدعاء وقد ورد من لم يسأل الله يغضب عليه وسئل الباقر عم اي العبادة افضل فقال ما من شيء افضل عند الله عز وجل من ان يسأل او يطلب مما عنده وما ابغض الى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل مما عنده وقال الصادق ع من لم يسأل الله عز وجل من فضله افتقر واما ما قاله الشبلي فهو مختص ببعض الاحوال والاشياء دون البعض كما امسك موسى عم عن الانبساط في طلب المآرب والحاجات الدنيوية حتى رفع الحق مقامه في القرب واذن له في الانبساط وقال اطلب مني ولو ملحا لعجينك فلما انبسط قال ربي لما انزلت الي من خير فقير قال ذو النون المصري ادب العارف فوق كل ادب لان معروفه مؤدب قلبه ولا يخفى ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين وادب الانبياء والمرسلين والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة عن الرسول واهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد وان شئت فانظر الى الصحيفة الملكوتية المنسوبة الى سيد العابدين علي بن الحسين ع ونقل عن الامام الهمام جعفر الصادق عم انه قال عجبت لمن يبتلى بالغم فكيف يذهب عليه ان لا يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والله تعالى عقيبه يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ومن فوائد الدعاء اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان الامكاني والانسلاخ عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض الاستكانة والحاجة والفاقة قال المعلم الاول ارسطاطاليس في اداب كان يعلمها اسكندر

السعيد من الناس من العقل اوفر طاعة والعلم افضل ذخائره ولا يغير الا القناعة ولا يوجب الزيادة الا الشكر ولا يدفع المكاره الا الدعاء **تنبيه** الدعوات والطاعات اما ان يكون موجبات واسبابا وعللا للمقاصد والسعادات وهو الظاهر فان النفس الانسانية اذا توجهت الى باريها انقطعت عن البدن الذي هو حجابها عن عالم القدس وفاض عليها من الجذبات ما يناسبها وربما بلغت نفس من فرط الزكاء والطهارة عن شواغل البدن ولذاتها الحسية الى حيث يفيض عليه من المبدأ الاعلى قوة وكرامة يصير بها مؤثرة في عالم العناصر فيبرئ المريض ويمرض الاشرار ويقلب عنصرا الى عنصر ويحرك اجساما يعجز عن تحريكها بنو النوع كقلع باب خيبر وذلك لان الاجسام موضوعة لتأثيرات النفوس وما من نفس الا ولها تأثير في جسم ما اما رأيت ان تخيلك لمشتهى الحلو كيف يحدث في بدنك تشبثا وتخيلك للحموضة يوجب لبدنك انفعالا او قشعريرة فيصير البدن بحسب ما يقتضيه احوال النفس وتخيلاتها وقد يمكن ان تؤثر النفس في غير بدنها كما تؤثر في بدنها الاهتزاز علوي وطرب عقلي وقرب روحاني من عالم القدرة والسطوة واتصال ملكوتي الى مبدأ الصنع والايجاد واما ان لا يكون موجبات ومؤثرات بل معرفات وعلامات والسبب العقلي في جعلها مناط التكليف وملاك العبودية ان كيفية علم الله وقضائه وقدره غائبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف الذين بهما تتم العبودية وهذا اهدى الطرق في تصحيح القول بالتكاليف مطلقا مع الاعتراف باحاطة علم الله وكون الاقدار جارية والاقضية سابقة في الكل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله قال الشيخ علقهم بين الامرين رهبهم سابق القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حياته للعمل الذي سبق له القدر قبل وجوده الا انك يجب ان تعلم الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تغرق في لجة القضاء والقدر والحق ان كلا القسمين اللذين ذكرناهما متحقق في

الدعاء

الدعاء ولهذا اشتهر بين الداعين ان الدعاء كالدواء بعضها يؤثر بالطبع وبعضها بالخاصية فالاول اشارة الى الوجه الاول والثاني الى الثاني وكذا القول في باب الرزق والكسب والارشاد والتهذيب والوعد والترغيب والايعاد والترهيب والحاصل ان الاسباب والوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائل في قضاء الله اقتضاء الدعاء والالتماس والارشاد والتكليف والوعد والوعيد وامثالها كما في الشاهد فلعل الله قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك لا بد ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ولم يكن شيء من ذلك خارجا عن قانون القضاء السابق وناسخا للكتاب المسطور **كلام تحصيلي** في لمية وجود الدعوات المستجابة والعقوبات السماوية اعلم ان الآثار الواردة على عالم الارض المحسوسة من عالم الملكوت والقوى العالية الغائبة عنا والحوادث النازلة علينا من النفوس العالية باذن الله انما يحدث بسببين احدهما القوى الفعالة الفلكية الطبيعية او الارادية والثاني القوى الانفعالية الارضية الطبيعية او الارادية وقد بين في مقامه ان لنفوس الاجرام السماوية ضربا من التصرف في ادراك الامور الجبالية الجزئية بادراك ما قبلها من الاسباب الكلية وما يتأدى الى تلك الجزئيات وادراكها للجزئيات مبادئ اوضاعها الجزئية وحركاتها الشخصية وهي اسباب لوجود الحوادث وتكون الكائنات وما من سبب من اسباب وجود الحوادث فلكية كانت او ارضية الا وينتهي الى امر طبيعي او نفساني جازم غير قاسر ولا ينتهي الى قسري لان القسري لا محالة منته اما الى طبع موجب وارادة قاهرة غير قاسرة فاليهما ينتهي ويرجع القسريات اجمع وللارادات الحادثة والطبائع الكونية اسباب اذا توافت اوجبتها ولا يحدث ارادة بارادة والا لادى الى القول بالتسلسل ولا بطبيعة المريد والا لما انفك الارادة عنها فلا محالة يستند الارادات الى الموجبات والدواعي الخارجة عن ارادة المريد وطبيعته كما مرت الاشارة اليه وتلك الدواعي تستند الى امور سماوية تنبعث لا محالة عن اسباب ارضية منبعثة عن هناك ومن هذا السبيل يحصل الجزم بان الملكوت العالية والنفوس السماوية وما فوقها عالمة بالجزئيات قبل وقوعها بعدما تبين كيفية كون التصورات الروحانية سببا لحدوث الصور المادية ولا محالة لمكان وجود الاسباب

مطيعة على اتم وجه واشرفه وجواهر السماويات في غاية الخلوص والصفاء واللطافة والنورانية خالية عن الشرور والآفات لم يكن تصورانها جزافية ولا شيطانية من باب السفاهة والشرهان النفس المنصوف ثم لم يكن ناقصة مؤقتة لم يتصور العبث والافتراء بل انها تتصور الاشياء على الوجه الاصوب المؤدي الى المنافع والخيرات كيف وتصورات الملئكة العملية تابعة لتعقلات الانوار العقلية والملئكة المهيمنين الخالية عن النقايص الحيوانية والشرور والجسمانية فما يترتب على علوم اهل القدس وزمرة المقربين يكون اجود الانحاء واشرف ما يمكن ويتصور من الامور فاذا تصورت نفوس السماويات ما هو الاولى بان يكون فان لم يكن لم مانع الاعدم علاقة طبيعية ارضية كوجود صورة مسخنة وطبيعة نارية عند تصورها وارادتها وجود السخونة لوجه الاجرفيها فتلك السخونة تحدث في الاجسام العنصرية بمجرد التصور السماوي للجزئيات لنفوسها كما يحدث في بدن الانسان من تصورات نفسه الناطقة المسخرة لها باذن باريها امورا ينبعث عنها السخونة فيه كدواعي الغضب وامثالها وان كان معه مانع كوجود علاقة ارضية وطبيعة مبردة فالتصور السماوي الجزئي في ذلك ايضا يقصر المبرد وينفي مادته كما يحلل تصور الامر المغضب للمواد البلغمية في بدن الرجل الغضبان ومن ههنا يعلم انه ليس من شرط المسخن والمبرد ان يكون سخنا او باردا فان صفات الاجسام جلها بل كلها انشات من الامور المعنوية الروحانية بل هي بعينها هذه انما تكدرت وتجسمت وتنقصت عند نزولها من موطن الصفا والتجرد الى عالم التجرم والتنقص فصارت محسوسا بعدما كانت معقولا ثم متخيلا ونسبة التضرع الى استدعاء المطالب واستجلاب المرادات كنسبة التفكر الى استدعاء البيان والتعلق وكل يفيض من فوق ويبتدي من الاعلى فالاعلى الى الادنى فالادنى كتجاذب سلسلة واحدة يؤدي بعضها الى بعض فلاجل هذا ينتفع بالدعوات والقوابين عند الهياكل والمواضع المناسبة للنية الخالصة وخصوصا في الامور الاجتماعية والمصالح الجمهورية كالاستسقاء وغيره ولهذا يجب ان يخاف دعوة المظلوم ويتقي المكافات على الشرور ويرجى المكافات على الخيرات فان قيم العالم ذو عناية ورحمة على خلقه لا يهمل بكسر على كسير والله عزيز ذو انتقام وهذه الامور الالهية لما كانت معقولة عند العالم الاعلى فيجب ان يكون لها وجود لان

علويها

علويها كام غير جزافية ولا طبيعية بل فعلية كلما عقلت لزمها فوجدت عند نعم اما تاملت يا عارف حال منافع الاعضاء في الحيوان والنبات وفوايد امزجتها وكيفياتها وكمياتها واشكالها التي قد عقلت اولا في عالم الابداع على الوجه الذي ادّت الى المصالح ثم اوجدت في مادة الكون وموضوع الخلقة على النحو من الايجاد اللايق بالمبدا الاعلى وقع منه على سبيل الفيض على العقل والنفس والطبيعة فترشحت منهما على موضوعها ومادة تصرفاتها كل ذلك خدمة لباريها وطاعة لمصورها ومعطيها فقد علم مما ذكر ان جميع الحوادث الكونية في عالمنا هذا ينبعث عن تصورات فلكية وتعقلات ملكية وعلوم سبحانية فالموثر بالحقيقة في وجود الاشياء ليس الاعلم المبادي بمصالح الكون فلا يتعجب من عناية الباري سبحانه ولطفه باصلاح حال الخلايق واعلم من ذلك حقيقة الامور الخارقة للعادات النازلة من الحق الاول الى الوجه الخاص الذي ينكره المتفلسفون الجاهلون بالاسباب الخفية المسخرة للطبايع وصدق بما سمعت من العقوبات الالهية النازلة بسبب دعوة الانبياء على اقوام يائسوا من روح الله فحل بهما غضب الرحمن الجبار وطردوا الى عالم البوار فتحريك الدعاء عن قوة الاخلاص وشدة التوسل من النفوس العالية الى الباب الاكبر اقوى سبب في تحريك الركن العظيم الى الصلاح لطايفة وافسادا اخرى فلم يرد قولها ولم يدفع دعاؤها بل يسمع قولها في الملكوت ويستجاب دعاؤها في السماء وعند ذلك يتحقق ذلك التخصص الانتصاب في الشرايع بصيرورة نفس احد منفعلات الباري التي تتاثر عنها المواد وهو كما يتخذها باذن الله المبدا الفياض على العباد والبلاد فيحتاج صاحب الدعوة الى اصلاح نفسه من دنس الجسمانيات والاغراض النفسانية والتحرز عن سورة الغضب والشهوة والمجانبة عن التفكر بغير الله وملكوته والنظر في طبيعة ما يدعو له او عليه حتى يكون قد اقام نفسه حيثما اقام عموم من بني نوعه نفاذا على الناس فضل وجوده فان اصاب الغرض الكلي على ما ذكرناه لم ترد دعوته وشهدت القلوب باجابته وان غادر شيئا من ذلك وخلط في دعائه الباري بغيره من الاغراض النفسية كان في اثر شركة من الشيطان فلم يسمع دعاؤه وزال عن الاصابة مقاصده اذ السبب الذي يظهر به استجابة الدعوات واستنجاح المقاصد والآثار العجيبة من الشخص القايم بالدعاء المتدين بالشريعة ان يكون خالص النية

سهل السجية متعلقا بالاعالي بن عو المرمجتنبا عن السوافل وما يطرح عليها انظار القوى الجزئية وينفي اليها ادراك المشاعر الهيولوية لتفضل بطبيعة البسيط على المركب والعلة على المعلول والعالي على السافل والشريف على الخسيس فيكون مبدا مآربه ومرمى اغراضه ومسهل مصاعبه ومنجح مهماته ويرى ان الجبوة الجسمانية والدواعي الحيوانية مبعدة له عن محله وانما هو في سفره فيشتغل بخدمة مستقره الذي يكون البعد عنه موجب الاخلاد الى الارض ومكاثرة الداثرين ويكون متورعا متصفا باالامانة وعدل بعيدا عن الجور والكذب مجبول الجبلة مفطورا على الصدق فان الكذوب لاعتياده بايراد مقدمات مموهة واختراع صور مخالفة للحق يصير بعيد المناسبة الى عالم الصدق والحق وهو عالم الملكوت العالم بادن رتبها ومنبع نزول البركات والخيرات شديد المجاورة لعالم الوهم والتلبيس واقطاع ابليس ومنبع الظلام والشرور ومعدن الخلاف والغرور والزور فلا يسمع هناك كلامه ولا يجاب دعوته ولم يكن صوته معروفا عند سكان ذلك الاقليم وقد ذكر افلاطون الشريف الالهي في كتاب النواميس حكاية في هذا الباب تدل على حقيقة ما ذكرنا وان استغنى هذا عن التمسك بالاحتجاج واقامة البرهان لكنا نذكرها لتبيين الراقدين وايقاظ النائمين قال انا نذكر خبر شاهدناه لشدة كانت في اليونانيين جرت احتيج فيها الى اخراج ارابدس الحكيم وكان حسن التمكن من علوم النفس وقد ضرب ضربتين بالسيف احدهما ابانت يده اليسرى والاخرى في خاصرته فدخلت عليه وانا اتوهم انه لا يستبين معرفتنا فبت بمنزه صحيحا وكان يحيض ساعة فيكون بمنزلة المستغل في نومه ثم يفتح عينه فيتكلم بعض دعته الصحف ثم يحيض الى جهة السماء فكلمته فاجابني وقال ما تريد فقلت ما الذي ترى انت فقال ارى ان فوز النفس في خلاصها من الجسد واجد راحة لم اكن اجد في الحياة فقلت لم زدت في شرحك ان اطقت ذلك قال انني ارى كاني من جسدي وكيد على كتفي شيء ثقيل وكانه يكبر بالزيادة في طول سني حتى اذا كان هذا الوقت الفيته ووجدت لالقائه خفة شديدة وراحة عظيمة وصرت اتامل الاشياء بافضل من عين الجسد واني ارى عمودا من نور متصلا بالاثير وارى نفوس اهل الزيغ لا تستطيعه وتنصرف من نوره الى ما حوله كما تفعل الخفافيش

من نور الشمس ثم قال يا افلاطون طوبى لذوي الامانة والصدق والعدل فانهم في امن وفوز ثم زفر زفرة فقلت له ما لك فقال قد اشرفت على الخلاص والراحة والفرج من كرب الجسد الا ان حرارة في قلبي تحبسني وتجذبني الى الحيوة بالجسم التي فيها غفلة النفس عن فضيلتها وانتم تعنون بطيب الشايقة في الموضع انا بينكم كرجل مطلق بين قوم مصفدين يريدون مقامه معهم في حبسهم وقد بين له الخلاص ثم عاد الى دعاء الصحف فما زال يتلوه حتى ثقل لسانه وخفي كلامه بالضعف وقضى نحبه والغرض من ذكر هذه الحكاية ان يعلم ان مقدار الرجل عند الله وملكوته الاعلى بمقدار تقدسه عن الاوصاف الذميمة من الكذب والمكر والخديعة والبخل والسفاهة والحمق والرعونة والظلم والجور والفسوق والعصيان وغيرها من النقايص التي هي نتايج التعلق بالدنيا وقرينة الهيولى الظالم اهلها وتخلقه بالاخلاق الكريمة والنعوت المرضية من صدق اللسان ومطابقة الظاهر للباطن والاعراض عن استجلاء نظر الخلق والجود والعدل والتقوى وحسن المباشرة والانصاف والمروة والفتوة والحياء والسماحة وكظم الغيظ والاغماض عن عيوب الخلق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والورع عن محارم الله والاشتغال بطاعة الله وعبادته متضرعا متخشعا اليه وغير ذلك من الخيرات والفضايل التي هي نتايج الاعتلاق بالعروة الوثقى والاتصال بالملكوت الاعلى والتوجه الى السماء ومجانبة اغراض النفس والهوى ورفض مشتهيات البدن والقوى التي ما خلقت الا لصرفها واستخدامها في سلوك طريق الحق وكونها مطية للارواح المسافرة من الخلق الى الحق فاذا دعا مثل هذا الانسان في امر من الامور التي فيه صلاح دنيه او دنياه او صلاح دين الخلق او دنياهم فلا محالة يستجاب دعاؤه ولا يمنع حاجته ولا يرد مطلوبه لكونه موافقا لما في القضاء السابق وملائما للنظام ومصالح الانام بل المقتضي والموجب لدعائه وتضرعه وتخشعه التي هي بعض اسباب الكون وروابط الفيض انما ينبعث من هناك فان مبادي جميع الامور ينتهي الى الاسباب السماوية ومحركات الملكية فان كل حادث يتكون اما من طبيعة او ارادة او قسر او اتفاق والطبيعة مبدا من السماء والقسر ينتهي الى الطبيعة كالحجر في موضعه والارادة اذا احدثت فلها علة وعلة كل ارادة لو كانت

ارادة اخرى لتسلسل الارادات من غير الانتهاء الى شئ ام فالحقه ينتهى الى امر عارض من خارج وارد على
الارادة الحادثة وهو اما ارضى او سماوى فالامور الارضية منتهية الى الاسباب السماوية والملئكة العمال
فان الله تعم جعل بعض مخلوقاته و مخلوقاته اسبابا لبعض اخر على ماجرت به سنته فى القضاء السابق
والقدر اللاحق واما الاتفاق فهو حادث عن مصادفات تلك الاسباب وهو فى الواقع وعند
العالم بسلسلة الموجودات لايكون الا مستنا الى شئ من الاسباب المقتضية البتية التى ينتهى بالاخرة
الى قضاء الله الذى هو الوضع الاول البسيط وينزل من عند الله العظيم تعم شانه وعجد سلطانه وبهر
برهانه **تبصرة** ان للصالحين والخواص من اهل العزيمة مطالبات ذوقية من بواطنهم ومحركات شوقية سكاناتهم
من مكانتهم تحكم عليهم بالتضرع والدعاء وتلجيهم الى سلوك طريق المبدا الاعلى فينبغى لمن اراد الدعاء ان
يتطهر وان يخلص الدعاء لله تعم وان يصدره عن صدر نقى وخاطر صفى وقلب فارغ عن الهموم والامور
الدنياوية ونفس زكية طاهرة من الاخلاق الردية وصدر سليم من الاعتقادات الفاسدة وفطرة صافية
ولهجة صادقة وقريحة عن نقش اقاويل المبتدعين خالية ليستقبل من كل صوب اشخاص الرحمة والاجابة
فى اجمل لباس يتلقونه بالترحيب والايناس ويكون ذلك له قرة اعين اخفيت عن الناس وينبغى ان
لايترك الدعاء فى وقت من الاوقات سواء كان قبل الحاجة او عندها كيف والانسان لاينفك فى شئ
من اوقات عمره عن الحاجة ولايخلو عن خوف نزول البلاء او زوال النعمة التى فيها فينبغى ان يكون
دايم الطلب من معبوده متواتر الاستغاثة به روى عن الامام الناطق بالحق جعفر الصادق عليه وعلى ابائه
الكرام اشرف الصلوة والسلام من تقدم فى الدعاء استجيب له اذا نزل به البلاء وقالت الملئكة ان ذا الصوت
لانغفره وقال عم من تخوف بلاء يصيبه فتقدم منه بالدعاء لم يره الله عز وجل ذلك البلاء ابدا وقال امام
الساجدين زين العابدين عم الدعاء بعد ما نزل البلاء لاينتفع به وينبغى لمن تاخرت الاجابة له ان لا يقنط
فقد قال الصادق عم كان بين قول الله عز وجل قد اجيبت دعوتكما وبين اخذ فرعون اربعون عاما
وينبغى ايضا الالحاح فى الدعاء استجيب له الا قال رسول الله صلعم رحم الله عبدا طلب من الله حاجته

فالح

فالح فى الدعاء استجيب له او لم يستجب وينبغى الاسرار فى الدعاء لقوله تعم ادعوا ربكم تضرعا وخفية دون
الجهر من القول بالغدو والاصال وقال الشيخ الجليل ابن فهد فى كتاب عدة الداعى اعلم ان الاسرار كما ندب اليه
فى الابتداء كذا ندب اليه فى اخر الدعاء فعليك بشعار الخفا ولاتجهر باعلانه وتوخ الخلوة عن الناس
فانها عون عظيم على ذلك وان كنت مع الناس ترى نفسك اتقو خالصا لا يشوبك شائبة قط فذلك
اعلى درجات المخلصين ان يستوى غيبة الخلق وحضورهم عنده ووجودهم وعدمهم ولعل الى هذا
اشار عم بقوله لابا ذر لايفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس امثال الاباعر فلا يحفل بوجودهم ولا
يغيره ذلك كما لايغيره وجود بعير عنده قال وتمام الخبر يدل على معنى اخر وهو ان المراد وضع النفس لان
تمام الخبر ثم هو يرجع الى نفسه فيكون اعظم حاقر لها وذكر صاحب الحقائق انه فى الحث على الاسرار
فى الدعاء وترك الاعلان فى الاوراد والاذكار كلاما بهذه العبارة اشرف الانفاس اخرها وافضل
الاذكار اسرها فترك الذكر يشبه الكبرياء واعلانه يوجب الرياء واخفاه سنة زكريا فاذا دعوت فعم ولا
تجهر فانك لاتنادى الصم انه لايسمع بالغضروف ولايحتاج منك بالاصوات والحروف يا رافع اليد بالدعاء
ويا داعى الحق بالنداء انه لايسمع بالصماخ فاقصر من الصراخ اتنادى باعدائم توقظ راقدا تعالى الله الا تأخذه
السنة ولاتعطله الا السنة فما هذه الشهقة والنداء وما هذه الصيحة السفلاء امن الضرب تتالم او من
الرب تتظلم او مع الكفاءتك تتكلم المحسبة فما تنبى قبيحك ام راز فاجهل اسمك انام من خلق الانام معاشر
الضعفة تظنون ان لاتاكلوا القوة انكم دون ان ترفعوا اصواتكم لا تدعوا اليوم ثبورا وظننتم ظن
السوء وكنتم قوما بورا ان لسان الحال افصح ورواق الرحمة ابسط وافسح فتسبح الجنان فى اللهم
واذكر ربك تضرعا وخيفة دون الجهر انتهت عبارته والحاصل لاشبهة فى ان الادعية والاذكار من جملة
العبادات التى يحتاج صحتها الى اخلاص القلب والاحتراز عن مقاصد النفس واغراضها وكلما كانت العبادة
استر واخفى فهى ابعد عن شائبة الرعونة والرياء اللهم الا ان يكون فى الجهر والاعلان مصلحة دينية وحكمة
شرعية يرجع الى ذات الانسان او الى مدينة فاضلة كالجمعة والجماعات ولهذا ورد تفضيل صلوة الجماعة

على صلوة الفذ فی طريقی الخاصة والعامة وبآيات صحيحة واحاديث متظافرة شايعة واردة عن ائمتنا
الهاشميين اصحاب العصمة والحكمة والهداية والدراية صلوات الله عليهم اجمعين وعليه يحمل قول بعض الحكماء
ان ارتفاع الاصوات فی بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات بحل ما عقدته الافلاك
الدايرات والكواكب السايرات فان فی ارتفاع الصوت الحسن تهيجا بليغا للنفس وتقوية شديدة
لعزمها على مجاهدة قواها التی هی جنود الشيطان وتسخيرها اعداء الله تع من اولياء الطاغوت المردة
عن طاعتها بحسب اصل الجبلة لكون النفس من سنخ الملكوت وهذه من عالم السفل والبعد عن رحمة
الله فصدر من الشريعة الالهية الامر بتطويع النفس الامارة وقواها للنفس المطمئنة ليستسلم منها ولا
ينازعها فی سيرها الى بارئها ومبدعها كما قال عليه وآله افضل التحيات والتسليمات اسلم الشيطان على
يدی فيخطر بها فی سلك التوجه الى جناب الحق ومنبع النور ومن عالم الزور ومعدن الغرور ولا ينافيها وفيها
بل تشايعها فی مطالبها وترافقها فی مآربها ومما يؤيد ما ذكرناه قول الشيخ الالهی صاحب الدعوات القدسية
والتسبيحات والاوراد الملكوتية فی بعض رسائله مخاطبا للنفس اذكری ايها المدينة الفاضلة ربك باصوات
المجامعة والصياح والتمجيد والتعظيم ما ابهاك يا مدينة الحق بذكر الله اسواقها وشوارعها وسككها
وبيوتها وسطوحها عند بلوغ النوبات الى مراسم التسبيح وكثرة تكبير اجهرا يهزم جنود الشيطان وينفر
عبدة الطاغوت ويرعد خبيثات النفوس ويهز النفوس ويحرك الاشباح البشرية الجمهورية ويعترف
كتاب الله المسطور بالبيان ومما ذكرناه يندفع التدافع الذی يتصور للانسان من جهة الحكمة الشرعية
والمصلحة الدينية فيما بين الامر بالسر والاخفات وجوبا او استحبابا فی بعض المواضع من الادعية والصلوات
والاثنية والطاعات وبين الامر بالجهر والاعلان كذلك فی بعض آخر منها وبالجملة ملاك الامر النية الخالصة
والتوجه التام الى مسبب الاسباب والاقبال بالكلية الى مسهل الامور الصعاب ومن لم يخلص لله فی اعماله
وعباداته فليس من العمل والعبادة فی شیء لان الله تع كما امرنا بالعمل امرنا بالاخلاص فقال عز من قائل وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وروی عن النبی ص اذا كان يوم القيمة يجیء الاخلاص والشرك يجثوان

بين

بين يدی الرب تع فيقول الرب للاخلاص انطلق انت واهلك الى الجنة ويقول للشرك انطلق انت واهلك
الى النار فاذا كان تمام العمل وملاك العبودية بالاخلاص فالاسرار فی الدعاء احوط وعن آفات اغراض
النفس وشهواتها احفظ وان كان الداعی متصفا بالورع والتقوى لان النفس ما دامت فی هذه
النشاة الناقصة لا تامن عما يشوبها ويبعدها عن طرق النسبة الالهية كما وقع لكثير من الموصوفين
بالزهد حيث استولى عليهم الشيطان لما راوا من محبة الخلق اياهم وانقيادها لهم حتى صار ذلك سببا
لمزيد بعدهم عن رحمة الله تع والاستطالة على الناس والازدراء بالخلق والابتهال بهم حتى يخلع ربقة الاسلام
عن عنقهم نعوذ بالله من الغباوة والغواية فی البدو والنهاية وينبغی ايضا للداعی ان يجلس فی موضع خال
لا يصل اليه اصوات الخلق بعد تنظيف البدن والثوب وتطهيرهما وتخلية المعدة من الطعام قال سهل بن
عبد الله التستری من علامات الانس بالله الاستيحاش من صحبة العامة والسرور وبكثرة ذكر الله والتلذذ
بالخلوة فی طاعة الله وقال وهب اوحى الله الى بعض انبياء بنی اسرائيل ان احببت ان تلقانی فی حظيرة القدس
فكن فی الدنيا مهموما محزونا فی مدا وحيدا مستوحشا بمنزلة الطير الوحدانی الذی يطير فی ارض قفر اقول
والحكمة فی ذلك ان الخلوة من الناس والبعد عن مخالطتهم وموانستهم يوجب المناسبة التامة الى المبدأ
الاعلى لتفرده ذاته وتوحد وجوده والمناسبة بين المفيض والمفاض عليه شرط فی قابليته للافاضة واستعداده
لقبول الرحمة فان ذات المبدأ الاعلى ذات فياضة على الاشياء بلا منع وتقتير وبخل وتقصير وانما المانع
للافاضة والرحمة من جانب الخلق لقصور القابلية فی بعض الافراد عن قبولها وكلما كانت المناسبة فی
المستفيض اشد كان نصيبه من فيض الوجود اكثر وحظه من الرحمة اوفر وقد تحقق ان الانسان بحسب
سنخ جوهره من عالم الملكوت واقليم الوحدة والتجرد والصفاء والنقاء وانما صارت نفسه ملطخة بالكدورات
الدنياوية لاجل التعلقات البدنية والاشتغال بالكثايف الجسمانية والخبايث الهيولانية وذلك لما لم يكن بد منه
له فی اول تكونه ومبدأ خلقته بحسب ضعف وجوده وقلة قوامه ونقص جوهره واحتياجه الى القوى والالات
والحواس والادوات لان يستبصر المعارف الالهية ويستكمل الحقائق الربانية بانتزاع الكليات المعقولات

من الجزئيات المحسوسة وتفطنه للحقائق الربوبية من المواد الكونية فوجود هذه الاشياء لم يلبس لاجل ان يركن
اليها ويطمئن بجهالات يستعملها في سبيل التقرب الى الحق ويصرفها عن تحصيل اغراضها ودواعيها من الامور
الشهوية والغضبية بل يجاهدهما ويروضهما بفنون الرياضات الدينية والسياسات الحكمية حتى يستعملها
فيما خلقت لاجله ثم ينزه ذاته عما يشغله عن الحق فيجب عليه ترك الالتفات الى ما سوى الله حتى يحصل
له التوجه التام والمناسبة التامة والاستعداد الكامل فلا يمنع دعاؤه في الملكوت وينجح مقاصده في
المعاش والمعاد من عالم الرحموت وذلك مما يعين عليه الخلوة عن الخلق وقد ورد ان الاستيناس بالناس
علامة الافلاس ولهذا استمرت عادة العرفاء واولياء التقوى والزهد الحقيقي الخلوة والبعد عن الناس
والمداومة على التوحش عنهم وملازمة الاربعينات والانقطاع بالكلية عن الخلق الى الحق حتى وصلوا
الى ما وصلوا وانقطعوا عما انفصلوا ونقل صاحب الاحياء عن بعض الحكماء انه انما يتوحش الانسان عن
نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر بملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة
طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة وليستخرج العلم والحكمة انتهى واما تعيين عدد معين من الايام والليالي
للخلوة فلعل ذلك للحديث المشهور المنقول عن رسول الله من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع
الحكمة من قلبه على لسانه وقد خص الله تعالى الاربعين بالذكر في قصة موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلم وامره
بتخصيص الاربعين بمزيد التبتل قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه
اربعين ليلة وذكر القاضي البيضاوي ان التعبير بالليلة لانها غرة الشهور قال المفسرون ان موسى عليه السلم
وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان الله تعالى اذا اهلك عدوهم فرعون وقومه واستنقذهم من ايديهم ياتيهم بكتاب
من عند الله فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والاحكام فلما فعل ذلك واهلك فرعون سال موسى ربه
الكتاب فامره الله تعالى ان يصوم ثلثين يوما وهو ذو القعدة فلما تمت ثلثون ليلة انكر خلوف فمه فتسوك
بعود خرنوب فقالت الملئكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يصوم عشرة
ايام من ذي الحجة وقال له اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك ولم يكن صوم موسى ع

ترك

ترك الطعام في النهار واكله بالليل بل طوى الاربعين من غير اكل فدل على ان خلوة المعدة من الطعام اصل
كبير في هذا الباب حتى احتاج موسى ع الى ذلك استعداد لمكالمة الله تعالى واعلم ان العلوم الدينية والمعارف
الكشفية الربانية ضرب من المكالمة لان حقيقة التكلم اظهار ما يدل على المعاني سواء كان بخلق الالفاظ
في الخارج او بافاضة صور الحقائق على النفس فتخلية المدارك والحواس عن مشاهدة اوضاع الخلق وتخلية
الجوف عن الطعام ومنع اللسان عن الكلام بغير الحق وعدم اشتغال القلب بما لا يعني لها مدخل عظيم في
المكالمة الحقيقية مع الرب وافاضة الحقائق وانكشاف الاسرار واستجابة الدعوات وانجاح المهمات
لا بحض بوقت دون وقت اخر وبمدة دون اخرى غير ان تعيين الاربعين والحكمة فيه لا يطلع على ...
ذلك الا الانبياء او من حضر الله تعالى لم يتعريف ذلك من غير الانبياء وذكر بعض العرفاء نكتة شريفة في ذلك بابات
فقال ان الله تعالى لما اراد تكوين ادم ع من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كما خمر ولذا طينة
ادم بيده اربعين صباحا فكان ادم لما كان مستصلحا لعمارة الدارين لكونه مركبا من الجوهرين احدهما
ملكوتي اخروي وهو نفسه والاخر ملكي دنيوي وهو قالبه فاراد منه عمارة الدنيا كما اراد منه عمارة الجنة
فكونه من التراب تركيبا يناسب عالم الحكمة والشهادة وما كانت عمارة الدنيا باقية الا ويكون خلقته من اجزاء
ارضية وقوى سفلية بحسب قانون الحكمة في التراب كونه واربعين صباحا خمر طينته واودع فيه بحسب كل
تخمير حجبة من القوى والالات وجعله من الجسم والاعضاء والادوات التي هي توجب نوعا من البعد والحجب
عن عالم القدس والوحدة والتوجه الى العمارة وزينة التركيب ليبعد بالتخمير اربعين صباحا باربعين حجابا
من الحضرة الالهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا وزينتها ويعوقه عن الحضرة الالهية
ومواطن القرب ولو لم يتعوق الانسان بهذه الحجب عن عالم القدس والوحدة ما انعمرت الدنيا فانفصل
البعد عن مقام القرب فيه لعمارة الدنيا وخلافة الله في الارض فبالتبتل الى طاعة الله والاقبال اليه
والانتزاع عن التوجه الى امر المعاش وما يتعلق بالدنيا كل يوم يخرج عن حجاب معنى مودع فيه وعلى قدر زوال
كل حجاب ينجذب منزلا في القرب من الحضرة الالهية التي هي مجمع العلوم ومصدر المعارف فاذا تمت الاربعون

زالت الحجب وانصبت الى قلبه العلوم والمعارف انصبابا فى كل يوم باخلاصه فى العمل لله تعالى يكشف له الحقيقة
من الاطباق الترابية الجبلية ويزول عشر طور من الاطوار الكونية الخلقية المبعدة له عن الله وظهور سلطان
النشأة الاخروية عليه الى ان يكشف باستكمال الاربعين اربعين طبقة من اطباق حجابه واطوار بعده
عن الله واشتغاله بغيره فاية صحة هذا العبد وعلامة تائبه بالاربعين ووفائه بشروط الاخلاص ان
يزهد بعد الاربعين فى الدنيا ويستانس بالله ويتجافى عن دار الغرور وينيب الى دار الخلود لان الزهد
من الدنيا من ضرورة الحكمة ومن لم يزهد فى الدنيا ما ظفر بالحكمة انتهى كلامه عز بيد تتميم وتوضيح اقول ربما
يختلج بالبال ان الحكمة فى ايجاد الانسان وتعلق نفسها الشريفة النورانية بهذا القالب الكثيف الظلمانى
لو كانت لمصلحة يعود الى الكائنات الارضية من النبات والحيوان يلزم استخدام الشريف للخسيس
وايجاد العالى لاجل السافل وهذا لا يليق بالحكيم وايضا اذا كان تخمير الانسان بحسب اطوار خلقته
وتقلبات نشأته على هذا الوجه موجبا البعد عن حضرة ربه ومقتضيا العدم مناسبته لعالم القدس والطهارة
الذى هو موطن الملائكة المقربين واتصاله بعالم الاجسام والظلمات ومعدن الشرور والآفات فيكون
ذلك تعذيبا لهذا النوع الشريف من الحيوان مرة بمبادية وتبعيده عما يقتضيه بحسب فطرته وليستدعى عين
بموجب نشأته من اتصاله بعالم الرحمة والبركة والنور والسرور والتنزه عن المعاصى والقبائح والآثام
الصادرة عنه لاجل التعلق بالبدن وقواه الشهوية والغضبية التى هى الحقيقة اسباب شقاوته وبعده
عن الله تعالى وملكوته الاعلى فاى فائدة فى تعذيب اشرف الموجودات الكونية لاجل اصلاح بواقى المركبات
الحيوانية او النباتية او غيرهما والجواب اما عن الاول فلان المراد بكون الانسان علة لهذه النشأة
الدنياوية او لغيره من الكائنات والمركبات هو تعميرها على وجه يعود فائدته اليه بان يدوم وجوده
ويبقى نوعه وليس الغرض من خلافته فى الارض وتعميره للدنيا الا بقية تخص الانسان ونوعه لا غيره من
الكائنات اللهم الا على سبيل التبعية والعرض فان الغرض من خلقه غير الانسان انتفاعه بها او
استخدامه لها كما فى قوله تعالى فى انتفاع الانسان من الحيوان او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما

فهم

فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون وقوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق
الانفس ان ربكم لرؤف رحيم وقال تعالى فى كون وجود النبات لاجل الانسان وانتفاعه هو الذى انزل
من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون وينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وقوله جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون
وقال تعالى فى حق الجماد وتستخرجون منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون وقال تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم
الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون الى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على
ان وجود غير الانسان من الكائنات لاجل منفعة الانسان وانتفاعه وظهر وتبين ان المقصود من عمارة
الدنيا وايجاد الاكوان وتبقيتها مصلحة تعود الى الانسان واما الثانى فما اشار اليه الشيخ الرئيس فى
كتاب المبدأ والمعاد بقوله كمال العالم الكونى ان يحدث منه انسان وسائر الحيوانات والنباتات
تحدث اما لاجله واما لئلا تضيع المادة كما ان البناء يستعمل الخشب فى غرض فما فضل لا يضيعه بل يتخذه
قسيا وخلالا وغير ذلك وغاية كمال الانسان ان يحصل لقوته النظرية العقل المستفاد ولقوته العملية
العدالة وههنا يختم الشرف فى عالم المعاد انتهى كلامه ومحصوله ان الغاية القصوى فى ايجاد هذا العالم
وتمامه وكماله خلقة الانسان وغاية وجود الانسان ان يحصل له بالعلم مرتبة العقل المستفاد اى مشاهدة
المعقولات والاتصال بالمفارقات وبالعمل درجة العدالة التى هى التوسط بين الاخلاق المتضادة
الحاصلة فى التعلق بالبدن والخلو عن اطراف الصفات الناشئة من ضرورة كونها فى عالم الاجسام
اذ بهذا التوسط يسهل له الافتراق عن هذه التعلقات لان التوسط بين الاضداد من الكيفيات بمنزلة
الخلوص عنها كما يقال الماء الفاتر لا حار ولا بارد واما خلقة سائر المكونات فمع كونها لانتفاع الانسان
كما مر فلئلا يهمل فضالة المواد التى قد صرف صفوها وزبدها فى تكون الانسان فان الحكمة الالهية

والرحمة الرحمانية تقتضي ان لا يفوت حق من الحقوق بل ان يصيب كل مخلوق من السعادة قدر ما يليق
به ويستعد له فالغرض الاصلي من خلقة الانسان وقد خلق من قضا له سائر الاكوان واما عن الايراد الثاني
فهو ان الانسان وان كان بحسب جوهره وذاته من عالم الملكوت واقليم التجرد عن الاوساخ الكونية والمعاصي
التعلقية وعلى فطرة الصفاء والنقاء وعلى جبلة الانقياد والتدين بالملة البيضاء والشريعة الالهية
وانما عرض له الاقتراف بالسيئات والاتصاف بالمعصية والكفر والطغيان والملكات الرديئة والهيئات
الظلمانية بسبب تعلقه بعالم الجسم والهيولى والصورة وكونه في البدن ودواعيه من الشهوة والغضب
كما اشير اليه بقوله عم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه لكنه مع كونه على فطرة التجرد
والصفاء والتقدس فهو في غاية ضعف الوجود ونقصان الجوهر في اول تكونه كالهيولى الخالية عن الصور
والهيئات فهو في مرتبة العقل الهيولاني خال عن الكمالات والشعور بشيء من المعقولات والمحسوسات
الا شعورا ضعيفا بذاته لكونها في غاية ضعف الوجود والقوام ولكون علمه بذاته لتجرده بذاته عين ذاته فاذا
كان علمه بذاته عين ذاته وكان ذاته في اول الخلقة في غاية الضعف يكون شعوره بذاته شعورا ناقصا
في غاية النقص والقصور حتى ذهب بعض الحكماء كالاسكندر الافروديسي الى ان الانسان في اوايل نشاته
ومبادي كونه قبل ان يبلغ الى مرتبة العقل بالفعل لا قوام له بدون البدن بل يفسد بفساد البدن جوهره
وذاته وهذا الراي وان لم يكن حقا لعدم امكان الفساد في المجردات بقواطع البراهين لكن الانسان
الذي لم يبلغ الى مرتبة تحصيل الكمالات والاخلاص فهو في غاية القصور والضعف ولهذا يفهم من
كثير من الروايات ان الصبيان ليس لهم درجة الابتهاج بالسعادات الاخروية وحصول الاستقلال
بمنزل من منازل الاخرة من الجنة والحور والقصور وانما شانهم خدمة اهل الجنة وهكذا حال صبيان
الكفار مع عدم عصيانهم وشقاوتهم الحاصلة لهم بحسب البقاء في الدنيا لعدم كونهم مكلفين بعد فيعلم
من ذلك ان الناس في مبدا الفطرة خال عن القوام التام بذاته فاقد لجميع الكمالات الانسانية والحياة
الاخروية فلم يكن صالحا في تجرده عن البدن وعدم تعلقه لاعادة لنشاة الدنياوية لتحصيل سعادة

الاخروية

تنبيه تأييد ومما يؤيد ما ذكرنا من كون تاثير الدعاء في انجاح المقاصد والمآرب وتيسيرها لحصول المهمات
والمطالب مشروطا بنقاء الجوف عن فضول الطعام وخلو البيت عن الحطام ما نقل عن رسول الله
انه قال لموسى عم في مناجاته يا الهي ما علامة احبائك واوليائك فقال الله تبارك وتعالى يا موسى
قلوبهم معلقة بالعرش وبطونهم طاهرة عن الحرام والشبهات وبيوتهم خالية عن حطام الدنيا
ارشاد وزينتها ويطلبون الخيرات والطاعات ارشاد الادعية الماثورة عن ائمتنا وساداتنا الهداة
الاكابر المعصومين عن الذنوب الصغاير فضلا عن الكباير صلوات الله عليهم اجمعين كثيرة شايعة
بين جميع الامم ذايعة بين طوايف العالم من الموالف والمخالف ولم يوجد مثلها في شيء من الملل والاديان
ولم ير عين الاعيان نظيرها من احد من ائمة القرون والازمان يعرف صحة هذا الكلام المستغني عن البيان
ويشهد بصدق هذه الدعوى الغنية عن البرهان من تتبع اثارهم واقتفى منارهم واهتدى بهديهم
هداية واقتدى بانوارهم هداية اتفقت العصابة من الاسلاميين وجمهور اهل الملل والاديان على ان
افضل الاذكار واشرف الاوراد كلمة لا اله الا الله التي من اقر بها لسانا دخل في المليين ومن صدق
بها جنانا كان من الموحدين ومن عمل بمقتضاها صار من المقربين ولهذا اختار جمع كثير من المشايخ
في تلقين مريديهم هذه الكلمة اذ لها خاصية عجيبة في تنوير الباطن وجمع الهم وهي من مواهب الله
تعالى لهذه الامة المرحومة ونقل الشيخ الجليل ثقة الاسلام محمد بن علي بن بابويه القمي ره في كتاب التوحيد
عدة احاديث في باب ثواب الموحدين منها ما نقل عن اسمعيل بن مسلم السكوني عن ابي عبد الله جعفر بن
محمد عن ابيه عن ابيه عن ابائه عم قال قال رسول الله صلعم خير العبادة قول لا اله الا الله ومنها عن ابي عبد الله
عن جده عم قال قال رسول الله صلعم من مات ولا يشرك بالله شيئا احسن او اساء دخل الجنة ومنها عن ابي بصير
قال قال ابو عبد الله عم ان الله تعالى حرم اجساد الموحدين على النار ومنها عن ابي جعفر عم قال قال جبرئيل
الى رسول الله صلعم فقال يا محمد طوبى لمن قال من امتك لا اله الا الله وحده وحده ومنها عن علي عم قال
ما من عبد مسلم يقول لا اله الا الله الا صعدت تخرق كل سقف لا تمر بشيء من سيئاته الا طلستها حتى تنتهي

يتلها من الحسنات الى عشر للنص الاحاديث المتظافرة مع اسنادها المتصلة الى الائمة الاطهار وآل الرسول
المختار صلوات الله عليهم اجمعين التي نقل جميعها يؤدي الى التطويل والاكثار فاقتصرنا على ما ذكرنا المحصول
الغرض بهذا القدر وبالجملة لهذه الكلمة خاصية عجيبة في تكميل النفوس الانسانية وحصول التقرب الى
الملكوت الاعلى ومشاهدة الانوار وترتب غرايب الاثار والتخلص عن الصفات الذميمة والنقاوة عن
الاخلاق الردية كما يعرفها اهل الذكر قال بعض العرفاء بنية العبد ووجوده تحكي مدينة جامعة واعضائه
وجوارحه وقواه بمنزلة سكان المدينة وقطان البلد والعبد في اقباله على الذكر كمؤذن صعد منارة
على باب المدينة بقصد اسماع اهل المدينة بالاذان فهذا الذاكر المحقق يقصد بالذكر ايقاظ قلبه
وجمع اجزائه وابعاضه فيذكر بلسانه ويعي بقلبه ومتفرقات جوارحه فيكون منادات الذكر باللسان
وصداه في قبة القالب يستحضر بالذكر سكان مدينة النفس ويستجمع بعساكر الفهم والحس يقول بعض
ويستمع بكله الى ان ينتقل الكلمة من اللسان الى القلب فيتنور بها ويعطر بجوي الاحوال ثم ينعكس نور
القلب على القالب فيتزين بمحاسن الاعمال فتكون الاحوال حلية باطنه والاعمال يلبس ظاهره وقال
الشيخ محي الدين الاعرابي لا يعلم قدر هذه النشاة الانسانية الا من ذكر الله الذكر المطلوب فانه تعالى جليس من
ذكره والجليس مشهود الذاكر ومتى لم يشاهد الذاكر الحق الذي هو جليسه فليس بذاكر فان ذكر الله
سار في جميع العبد لا من ذكر بلسانه خاصة فان الحق لا يكون في ذلك الوقت الا جليس اللسان خاصة
فيراه اللسان من حيث لا يراه الانسان بما هو راء فافهم هذا السر في ذكر الغافلين انتهى كلامه والسر
المامور بفهمه انما يستفاد من تحقيق كون جميع الموجودات عرفاء شاعرين بالله مسبحين لربهم ذاكرين
له كما ذهب اليه ارباب الكشف والشهود سواء كان ذكرا مقرونا بالتلفظ او مجردا عنه وما من شيء الا
وله لسان ملكوتي يذكر الله ويسبحه كما دل عليه القران من قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم وسيجيء تفصيل القول في ذلك ان شاء الله تعالى ثم وقد يقع للنفوس الكاملة المشرقة من
الانبياء والاولياء بل لغيرهم اذا استضاء مشكوة مشاعرهم بانوار صحبة النبي صلعم ان يتفق لهم مشاهدة

النطق

النطق الظاهري من الموجودات بناء على تطابق العوالم وتحاذي النشآت فيستمعون ذكر الحق من كل
شيء حتى الحجر والمدر كفاحا كما ورد من سماع اصحاب النبي صلعم تسبيحات الحصاة في كفه الشريفة بل
الغفلة عن ذكر الحق وعرفانه لا يوجد في غير الانسان وذلك لخروجه عن الفطرة الاصلية التي فطر الله
عليها الاجل تصرفاته وتدبيراته الشاغلة له عن الله تعالى وملكوته واليه اشير في كلام بعض الحكماء لولا
ازاغة المبطلين نطقت الفطرة بشواهد الايمان واعلم ان عقول جماهير من الناس وان كانت
محجوبة عن هذا الطور من الشهود والعرفان في حق الموجودات لكن العقل الذكي اذا تنور عقله
بالنور الالهي وعرف سريان الوجود الفايض عنه تعالى في جميع الموجودات يعلم ان لكل منها نفسا ناطقة
سامعة هي نصيبه من العالم الملكوتي كما قال الله تعالى بيده ملكوت كل شيء ويحجب كثرة وجود الامكانات
يبعد عن الحق الاول ويغفل عن عالم النوري فيحجب ويحصل لها الرين ويحجب قلبها يقرب منه
ويستفيض منه الكمالات ويتنور بانواره وقال بعضهم ان اسرع اذكار اللسان افضاء الى مشاهدة
الانوار هو كلمة لا اله الا الله ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة الاية اشارة الى كلمة لا اله الا الله قال ورايت
هذه الكلمة على صورة شجرة عجيبة نابتة من الارض الى السماء واغصانها الوان مختلفة عجيبة وعلى كل
غصن انواع الطيور والوان الجواري والغلمان لا يوصف جمالهم وحسنهم كلهم يقولون بالسنتهم
لا اله الا الله وكان في كل لحظة يخرج من هذه الشجرة مثل تلك الاغصان ومثل تلك الاشخاص ويصعد
الى السموات ثم يخرج مكانها اغصان اخر كذلك ويرتقي الى السموات وكان ذلك في بداية امري حين
بدأت بذكر هذه الكلمة ثم تلك الشجرة هي هكذا وعلى حالها بعد سنين واعوام ثم اعلم ان لهذا الذكر
اثرا بينا في تطهير القلب عن الاوصاف الخبيثة وهذا ايضا مجرب جدا وقد شاهدناها الاوصاف الخبيثة
عند امحائها وانفصالها عن النفس يخرج على صورة الاشخاص والحيوانات الخبيثة نحو الكلب والخنزير
والسنور والبقر والحمار والفار والحية والعقرب والسارق والطرار والمزور والغماز واشباهها
ومن كل صورة كتب صورة الانسان سئلنا عنه قالوا هذا غماز وذاك سارق وهذا فلان وفلان ومن

جرب ذلك صدقنا ويدل على صحة هذا الكلام قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون وقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فقد علم
ان الذكر نور يتقيه الشيطان كما تتقى الحيوان النار وقد ورد ايضا في الخبر ان الشيطان جاثم على
قلب ابن ادم فاذا ذكر تولى وخنس واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه فذكر الله تعالى بمنزلة صيقل القلب
والغفلة عن الله بمنزلة تكدره فاذا تكدر القلب طمع الشيطان لمناسبة الكدورة والظلمة وقرت
منه وصفاء القلب محفوف بالذكر وبالذكر ينقد القلب ويتنور كانقاد الكوكب في كبد السماء فيصير
القلب سماء محفوظا بنيرة كواكب الذكر عن شياطين وساوس النفس واحاديثها فيندرج في حفظه
الخواطر الشيطانية ولماتها وهذا حال من استقام قلبه واطمئنت نفسه واعلم ان من جملة الاذكار
الشريفة يا هو يا من هو يا من لا هو الا هو يا ازل يا ابد يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت
قال بعض الفضلاء ولقد لقى بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من هو يا من لا هو الا هو فالاول
فناء عما سوى الله والثاني فناء في الله والثالث فناء عما سوى الذات والرابع فناء عن الفناء
عما سوى الذات **تنبيه** المقصود من الذكر المطلوب من العبد في اصطلاح السلاك من العرفاء ان
يذكر الله باللسان ويكون حاضر القلب وروحه وجميع قواه الادراكية بحيث يكون العبد بكليته كونه
انسانا وعبدا متوجها الى باريه ومدبره فتنتفى الخواطر وينقطع احاديث النفس عنه ثم اذا داوم عليه
بهذا الوجه مع الشرايط المقررة المذكورة من تخلية البيت عن الحطام وتنقية الجوف عن الحرام وتنظيف
الثوب والبدن عن الاخباث والارجاس وتهذيب النفس والروح عن الخبائث والادناس وتنزيه
العقل والسر عن الوسواس والتوجه الى المبدأ الاعلى بالمنطق والقياس ينتقل الذكر من اللسان
الى القلب ولا يزال يذكر بذلك ويردد هذه الكلمة على اللسان على مواطاة القلب حتى يصير الكلمة متاصلة
في القلب مزيلة لحديث النفس بنور معناها في القلب عن كل حديث النفس فاذا استولت الكلمة
وتجوهرت في القلب يتذكر القلب وان سكت اللسان وذهب صورة الكلمة من اللسان وبقي جوهرها

يستكن

يستكن نور اليقين في قلب السالك الذاكر حتى يتجلى له الحق من وراء استار غيوبه فيتنور باطن العبد بحكم
واشرقت الارض بنور ربها وهذا هو التجلي الافعالي في عرفهم ثم لا يزال هكذا حتى يكشف عنه الحجب حتى
ويقبل في حضرة الاستار شيئا فشيئا الى ان يرتقي الى التجليات الصفاتية والاسمائية ثم الذاتية فيفنى العبد
في الحق فيذكر الحق نفسه بما يليق بجلاله وجلاله فيكون الحق ذاكرا ومذكورا بلسان العبد ولسان العبد
ح كشجرة ايمن كما نقل عن الامام الهمام قدوة الانام جعفر الصادق عليه وعلى ابائه السلام انه قال حين سئل عن
حيرة مغشيا عليه عند تلاوة القران ما زلت اكرر هذه الاية حتى سمعتها من المتكلم بها وقال الشيخ
السهروردي صاحب العوارف والمعارف كان لسان الامام في ذلك الوقت كشجرة موسى ع في الطور
حين ندائها انى انا الله **خاتمة** في بيان سريان الذكر والتسبيح في جميع الموجودات حتى الجمادات
والنباتات على طريقتي الحكمة النظرية والحكمة المتعالية اما الاول فلانه كل موجود من الممكنات على
وجود صانعه وعبد ودال على عقلته واضحة وحقيقة التهليل والتسبيح الشهادة على وحدة الصانع
وتنزيهه عن النقايص واظهارهما والدلالة عليهما سواء كانت بالالفاظ او بالذات فكل موجود بمنزلة
كلام صادر عنه تعالى دال على توحيده وتمجيده كما اشار اليه بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم بل كل وجود من الموجودات ذكر وتسبيح له تعالى اذ نغمة منه وصدايته وانضافه بصفة الكمال
تقدسه عن صفات النقص والزوال واعلى المراتب في الشهادة والدلالة عليه تعالى ذاته بذاته كيف وهو
الشاهد الدال على وجود كل موجود اذ العلم بذي السبب لا يتيقن في مقامه لا يحصل الا من جهة العلم بالسبب
كما في قوله تعالى انه على كل شيء شهيد فشهادة كل معلوم وموجود عليه تعالى يتوقف على شهادته تعالى على ذلك
الشيء فكل شهادة وثناء على ذاته يرجع الى شهادته وثنائه بذاته على ذاته فسبحان من لم يكن عليه ثناء
سوى نفسه واليه يرجع ابلغ عواقب الثناء فهو المبدأ والغاية في ذلك وهو المثنى والمثنى عليه وحقيقة
الثناء في كل ثناء واحتمل ذلك معيا سالك في تحقيق كل صفة ومحمدة من الصفات والنعوت الكمالية
والمحامد والفضايل الافعالية كالوجود وكمالاته واثاره ليظهر لك اسرار غامضة جدا واسرها على من يحرم

كشفها الرواة اما الطريقة الثانية فقد قالوا بيانه ان حقيقة الذكر عبارة عن تجليه تعالى لذاته بذاته اظهارا
للصفات الكمالية ووصفا الذات بالنعوت الجمالية والجلالية في مقامي جمعه وتفصيله كما شهد لذاته بذاته
في قوله شهد الله انه لا اله الا هو وهذه الحقيقة لها مراتب اعلاها واولاها في مقام الجمع من ذكر الحق نفسه
باسم المتكلم بالحمد والثناء على نفسه وهو يرجع الى علمه بذاته الذي هو عين ذاته المتصفة بالصفات الكمالية
والنعوت الجلالية والجمالية في حضرة ذاته الاحدية ومرتبة وجوده الفردانية وثانيتها ذكر الملائكة المقربين
وهو تحميد الارواح وتسبيح الكروبين المهيمين لربها وثالثتها ذكر الملائكة السماوية والنفوس الناطقة المجردة
ورابعتها ذكر الملائكة الارضية والنفوس المنطبعة مع طبقاتها وخامستها ذكر الابدان وما فيها من
الاعضاء والابعاض وكل ذاكر لربه بلسان يختص به بل لكل واحد لسان لذكر الحق كما ذكره صاحب فصوص
الحكم فالكل السنة الحق ناطقة بالثناء عليه بل ان شئت قلت كل واحد ذكر لربه فالعالم من جهة كثرة تفصيله
تسبيحات وتحميدات واذكار للحق تعالى والكل من جهة الوحدة واحد وذكر مفرد يليق بوصف كمال نعوت
ربوبيته وجماله **تمثيل واشارة** كما ان ظاهر الانسان يثني على نفسه الناطقة التي تربيه وتدبره
ويسبحها ويحمدها بلسان صورته وقواها الجسمانية والروحانية وذلك بامداد من النفس الناطقة
لها وفيض منها عليها لانها مبداء وجود البدن وقواها البدنية ومشاعرها الجسمانية والروحانية
المسخرة التي هي جنودها باذن ربها كذلك ظواهر العالم من الافلاك والعناصر والمركبات كالانسان والحيوان
والنبات والجماد وغيرها يثني بالسنتهم والسنة قواهم الروحانية والجسمانية على مبدعه ومقومه وموجده
ومدبره الذي هو الحق القيوم بذاته ويسبحه ويحمده ويتنزهه عن النقايص اللازمة لهم اللاحقة بهم ولكن
لا يفقه ذلك التسبيح والتنزيه الا من تنور باطنه بنور الايمان اولا ثم الايقان ثانيا ثم العيان ثالثا
ثم بوجدان نفسه وروحه ساريا في كل مرتبة قاهرا متصرفا في كل موجود حالا الاعلى ما شهوده فقط بواسطة
اتصاله اتصالا روحانيا ملكوتيا بنور الحق المشرق على كل مرتبة من مراتب الموجودات فيدرك تسبيح
الموجودات بذلك النور وسمعه كما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سماعه واسماعه اصحابه رضي الله عنهم

تسبح

تسبيح الحصا في كفه الشريفة المقدسة وكما روي عن ابن مسعود انه قال لقد كنا نسمع تسبيح الخبز وهو يوكل وورد ان
المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس وروي عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر الا ويقول السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وامثاله الكثيرة في الاحاديث
فالانسان الكامل وصفات المقام الرابع يسبح لربه بلسان تلك الحقايق ويحمده ثم في تلك المراتب فهو العبد
التام لله يعبده في كل موطن ومقام بعبادة جميع العالم ويحمده بمحامدهم في مواطن العالم ومراتبه معابد عبادته ومعبوده
ومنازل طاعته لربه وسجوده وعند تحقق الانسان بهذا المقام يطوى له الزمان والمكان ويتصرف في جميع
الاكوان تصرف النفوس في الابدان ويظهر في الحالة الواحدة في جميع مراتب الارواح النورانية والنفوس
القدسية الروحانية والاجسام الكثيفة الظلمانية ومن هذا القبيل معراج النبي صلى الله عليه وسلم الكامل واعلم ان اثبات
الشعور والادراك لجميع الموجودات حتى الجماد والنبات على ما يلزم من القران والاحاديث مما دلت عليه المباحث البرهانية
وشهدت به العلوم الذوقية وايدته المقامات الكشفية وهو مذهب كثير من المحققين كصاحب الاشراق والمحقق
الطوسي والعلامة الرازي صاحب المحاكمات وابن كمونة وابي البركات البغدادي وذهب اليه جم غفير من الكاشفين
منها الشيخ العارف والمحقق الكاشف محي الدين الاعرابي ومتابعوه قال الشيخ قدس سره في اخر الباب الثاني عشر من
الفتوحات المكية ان المسمى بالجماد والنبات لهم ارواح بطنت عن ادراك غير اهل الكشف اياها في العادة
فلا يحس بها مثل ما يحسها من الحيوان فالكل عند اهل الكشف حيوان ناطق بل حي ناطق غير ان هذا المزاج
الخاص يسمى انسانا لا غير ونحن زدنا مع الايمان بالاخبار الكشف فقد سمعنا الاحجار بذكر الله رؤية عين
بلسان نسمعه اذا نا منها وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل انسان وقال في موضع
اخر وليس هذا التسبيح بلسان الحال كما يقوله اهل النظر ممن كشف له وقال ايضا في الباب الثامن والسبعين
والمائة منها خلق الله سبحانه الخلق ليسبحوه فنطقهم بالتسبيح له والثناء عليه والسجود له فقال الم تر ان الله
يسبح له من في السموات والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه وقال ايضا الم تر ان الله يسجد له من في
السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وخاطب

بجزین الامیتین نبیرم الذی اشهدہ ذلک واراہ فقال الم تر ولم یقل الم تر وا فانا ما رایناہ فهو لنا
ایمان ولمحمد عیان فاشهدہ سجود کل شئ وتواضعہ لله وکل من اشهدہ الله تعالی ذلک وراہ دخل
هذا الخطاب وهذا التسبیح فطری وسجود ذاتی عن تجل تجلی لهم فاجبوه فانبعثوا الی الثناء علیہ من غیر
تکلیف بل اقتضاء ذاتی وهذه هی العبادة الذاتیة التی اقامهم الله فیها بحکم الاستحقاق الذی یستحقه
وقال فی اهل الکشف وغایة الانس وکل عاقل الم یروا الی ما خلق الله من شئ یتفیؤا ظلاله عن الیمین
وعن الشمائل سجدا لله وهم داخرون اخبرهم ان ذلک التفیؤ یمینا وشمالا سجود لله وعبودیة وصغار
وذلة لجلاله فقال سجدا لله وهم داخرون فوصفهم بعقیدتهم انفسهم حتی سجدوا لله داخرین ثم اخبر
فقال منبها ولله یسجد ما فی السموات وما فی الارض من دابة ای ممن یدب علیهما ثم قال وهم یعنی اهل
السموات والملئکة یعنی التی لیست فی سماء ولا ارض لا یستکبرون یعنی عن عبادتهم ربهم ثم وصفهم بالخوف
لیعلمنا انهم عالمون بمن سجدوا له ثم وصف المامورین منهم انهم یفعلون ما یؤمرون ثم قال فالذین
عند ربهم یسبحون له باللیل والنهار وهم لا یسامون ای لا یملون ولا یفترون کل ذلک یدل علی ان العالم
کله فی مقام الشهود والعبادة الا کل مخلوق له قوة الفکر ولیس الا النفوس الناطقة الانسانیة والجنیة
خاصة من حیث اعیان انفسهم لا من حیث هیاکلهم فان هیاکلهم کسایر العالم فی التسبیح له والسجود
فاعضاء البدن کلها مسبحة ناطقة الا تریها تشهد علی النفوس المسخرة لها یوم القیمة من الجلود والایدی
والارجل والالسنة والسمع والبصر وجمیع القوی فالحکم لله العلی الکبیر قد تمت الرسالة

۱۲۳۵

في بيان ابتلاء كل من حضر كربلا بالبلاء الفظيع والداء الشنيع

الذی یذیقهم الله تعالی فی البرزخ وعذاب البرزخ ادنی واقل بالنسبة الی العذاب الذی یکون فی زمان ال...
الکل ادنی واقل بالنسبة الی العذاب الاعظم الاوفی الدائم الذی یکون فی النشاة الاخرویة بعد قیام الساع...
الکائن قیام الحساب فیما روی السائل عن السید المرتضی رحمه الله تعالی عن خبر رواه النعمانی فی کتاب التسلی عن ال...
علیه السلام انه اذا احتضر الکافر حضره رسول الله صلی الله علیه وآله وامیر المؤمنین علیه السلام وجبرئیل علیه السلام وملک المو...
فیدنو الیه امیر المؤمنین علیه السلام فیقول یا رسول الله صلی الله علیه وآله ان هذا کان یبغضنا اهل البیت علیهم السلا...
فیقول رسول الله صلی الله علیه وآله یا جبرئیل ان هذا کان یبغض الله ورسوله صلی الله علیه وآله واهل بیت رسوله...
فابغضه واعنف به فیدنو منه ملک الموت فیقول یا عدو الله اخذت فکاک رقبتک اخذت امان براءتک تمسک...